روايات مصرية للجيب

مغامرات س

6

سيناريو

بهجت

Looloo
www.dvd4arab.com

ظهـور تدريجى

مرحبًا ..

(نسرين الجبالى) بشعرها القصير ، ونظارتها الطبية ، وعنادها الصخرى ، وتجهمها الذاهل ، وجنونها المطبق ، ترحب بكم فى عالمها الصغير ، وترجو لكم أن تقضوا أوقاتًا طيبة مع سيد الغموض ، ذلك المتوحد فى اختفائه الأبدى خلف ستائر العدم السرمدية ..

السيد (س) ..

(نسرين الجبالى) ، تلك الشابة التى تمتهن الصحافة وتحيا بها ولها ، والتى تعشق المتاعب وتسافر بحثًا عنها ربما فى آخر العالم إن اقتضى الأمر ، والتى تثير حولها دائمًا دوائر لا تنتهى من غبار المشكلات ودوامات الأسئلة ، فتضيع - وتضيّعكم معها - فى متاهات البحث عن إجابات لا تجىء ، تعود إليكم من جديد فى مغامرة أخرى معه ، ذلك الرجل المتوحد مع الظل حتى أضحى ظلاً ، والمتلاشى فى العدم حتى فقد وجوده الحقيقى ..

السيد (س) ..

(نسرين الجبالى) التى فقدت أمها وهى بعد فى المهد طفلة لا تحبو ، والتى يقضى والدها الجرّاح أغلب وقته فى مستشفاه الخاص بين مرضاه وتلاميذه ؛ لا يظهر إلا فى أوقات نادرة تفصل ما بين مغامرة مجنونة وأخرى أكثر جنونًا ..

(نسرين) التى تتشاجر مع خطيبها ضابط الشرطة أكثر مما تشاهد التلفاز ، والتى تعرف من البشر أنماطًا يليقون بها وبغرابة أطوارها وبحياتها المترنحة بين الملل والمخاطر ، والتى يطاردها رجل لا تعرف عنه شيئًا بينما يعرف عنها هو كل شىء ، وأى شىء ، كأنه ليس من هذا العالم الذى تحيا فيه ..

السيد (س) ..

(نسرين الجبالى) تعدكم اليوم ـ وهى بالمناسبة محترفة فى نسيان وعودها ـ بمغامرة أخرى فريدة من نوعها ..

مغامرة ليست أقصر من المعتاد ، وليست مما يسهل نسيانه ، وليست من النوع السريع التطاير كالكحول ..

عهد هذه المغامرات قد ولى منذ هذه اللحظة بالتحديد ، فنحن اليوم على أعتاب عالم جديد ، ساحر ، أخّاذ ، تتصارع فيه الأضواء مع الألوان ، وتغنى فيه الكلمة مع الصورة ، ويتناغم فيه الأداء مع سحر الظلام والحركة والخلود ..

نحن اليوم على أعتاب عالم الفن السابع ..

عالم السينما ..

دعونى ـ بدايةً ـ أذكّر من لا يذكُر بأنه فى بداية مغامرتى السابقة ؛ قد وضعتنى السيدة (ألفت همّام) رئيسة تحرير جريدة (الأربعاء) فى مركز لا تحلم به فتاة فى مثل سنى وخبرتى التى لا تزال محدودة رغم كل ما مررت به ، أعنى مركز رئاسة قسم التحقيقات فى جريدتها ، هكذا مرة واحدة ودون سابق إنذار ، ومهما تكن نواياها فقد قبلتُ بالمركز وباشرت مهامى على الفور ، لأجد نفسى أمام مغامرة جديدة لم تكن على البال مع سيد (س) مزيف ..

وآخر حقيقى !

ليراجع المغامرة من خلته ذاكرته أو فاتته قراءتها على أية حال ، لكنى أسوق هذا الاقتضاب الذى لا يرقى إلى مستوى التلخيص فقط كى أذكّر من لا يذكر بأن هذه المغامرة تتعلق بشىء ما أعطانى إياه زميل دراسة فى أثناء حدوث المغامرة السابقة ..

على من يريد أن يتذكر هذا الزميل أن يراجع مغامرتى الأولى معه فى مسرح الكلية (الأعرج) ، أو ظهوره المتكرر فى (دائرة الموت) و(اللعنة) و(فتاة حالمة) وغيرها ، وعلى من لا يرغب فى العودة إلى ماض سحيق كهذا الاكتفاء بالعلم أن اسمه (تامر فوزى) ، وأنه يعشق فن الدراما ويحارب من أجل فرصة للظهور والصعود نحو قمة النجومية؛ ممثلا أو مخرجًا مسرحيًا ..

هل يذكر من قرأ المغامرة السابقة ما جلبه لى (تامر) ؟!

أنا لا أختبر أحدًا ، وعلى كل حال لنبدأ أحداث هذه المغامرة على الفور دون مزيد من المقدمات والتذكيرات ، ودون حتى أن ننظر إلى عنوانها !

* * *

١ـ نهار .. ليل / داخلى .. خارجى ..

فتحت الثلاجة بحثًا عن أى شىء يؤكل ، وكنت أتضور جوعًا ..

يعرف كل من يمتهن الكتابة ـ أو حتى يقدم عليها بدافع الهواية ـ هذا الجوع الرهيب الذى يعترى المرء عندما يفرغ من هذه المهمة الشاقة ؛ التى يعتصر فى أثنائها مخه اعتصارًا ، فى سبيل رؤية تلك السطور التى تتراص فى النهاية أمام عينيه معلنة ميلاد نص جديد ، كأن المرء قد استهلك كل مخزون طاقته إلى حد أن بطارياته تصرخ من أجل إعادة الشحن !

كنت قد عدت من قرية (ميت خميس) التى جرت فيها أحداث مغامرتى السابقة ليلة أمس ، وقد منحنى النوم الهادئ فى مقعد القطار الانفرادى ـ الذى أقلنى فى رحلة العودة ـ النشاط والتركيز اللازمين لكتابة تحقيقى الصحفى الجديد عما جرى هناك وهنا ، وقد وضعت له عنوانًا أنيقًا من طراز (إنهم قادمون) وأرسلته إلى الجريدة بالبريد الإلكترونى ؛ حتى يكون جاهزًا للتصحيح والمراجعة عندما أكون على مكتبى غدًا ، ولكى يلحق بالتجهيزات الأخيرة قبل مثول عدد الجريدة القادم للطبع فى خلال يومين على الأكثر ..

بمجرد انتهائى من إرسال البريد الإلكترونى هرعت إلى الثلاجة ، فتحتها ووقفت متصلبة فى خيبة أمل إذ لم أجد ما يصلح للمهمة المرجوة ..

بقايا خبز قديم زحف العفن الأخضر على سطحه رغم بقائه تحت درجة حرارة منخفضة ، طبقان خاويان إلا من فتات طعام ، عبوة كرتونية تحوى القليل من اللبن المتخثر ، حتى زجاجات المياه كانت إما خاوية أو نصف ممتلئة !

هذه هى النتيجة الحتمية لمنزل يسكنه طبيب نصف حاضر ونصف غائب ، بسبب غرقه فى العمل حتى منبت شعره ، وصحفية ورثت منه جينيًا الملامح وحب العمل وحرفية الغرق ، بالإضافة لبعض الإهمال الفطرى المتأصل فى طباعها ..

قمت بإلقاء محتويات الثلاجة فى سلة المهملات وأنا أمط شفتى ، وأحاول تجاهل الأصوات المزعجة الصادرة من معدتى ، والتى تداخلت مع رنين الهاتف المزعج الذى انطلق فجأة فى إلحاح ..

ألقيت نفسى على أريكة الصالة ورفعت السماعة اللاسلكية ، كنت واثقة فى البداية من أنه :

ـ بالتأكيد لم تخلع ملابس العمل الرسمية بعد ..

.. (هشام) خطيبى بالتأكيد ، فمن ذا الذى يحادثنى ظهيرة كل يوم فى مثل هذا الموعد ؟!

لكن الصمت الطويل الذى قابلنى عند الجهة الأخرى جعلنى أشك لوهلة فى أنه هو :

ـ .. (هشام) ؟!

طال الصمت أكثر مما جعل شكّى يتعاظم :

ـ .. آلو .. من معى ؟!

أتانى صوته المرح أخيرًا :

ـ يبدو أننى قد نجحت فى هز عرش ثقتك العمياء ، أين التاريخ ليسجل هذه اللحظة ؟!

يا له من طفل ، ويا لى من عاقلة !

ـ كنت واثقة من أنه أنت أيها الـ ...

إحم ، تعتذر الرقابة عن حذف هذا الجزء والاستعاضة عنه بصفير قصير ، إنها خصوصيات العلاقة بين خطيبين مثاليين على أعتاب الزواج التى لا يصح أن يتلصص عليها أحد ..

ضحك (هشام) مليًا لوابل الغضب الطفولى الذى انطلق من جهتى ، ورد فى تهوين :

ـ هل أفزعتك إلى هذا الحد ؟!

قلت وغضبى لم يزل بعد :

ـ كلا ، ظننتك شخصًا آخر ، تصور أن يحادثنى شخص غيرك فيسمع منى أول ما يسمع استفسارًا عما إذا كان مازال يرتدى ملابسه أم لا !

عاد يضحك وقد أعجبته النكتة بينما أحنقتنى ضحكاته أكثر ، لكنى قررت أن أكظم غيظى لآخر مدى ، وأكتفى بلعن جنس الرجال فى أعماقى ..

إنهم أطفال يتلذذون بتعذيب أمهاتهم وشقيقاتهم وزوجاتهم ، ثم بناتهم فيما بعد ، ويمكنك أن تعتبر أبى الاستثناء الوحيد فى هذا العالم كله !

عندما تمالك (هشام) نفسه أخيرًا سألنى :

ـ بالمناسبة ، كيف عرفتِ أننى لا أزال بملابس عملى الرسمية ؟!

هززت كتفىّ وقلت معيدة المكالمة إلى مجراها الذى كان يُفترض أن تبدأ به :

ـ مجرد تخمين يعتمد على معرفتى بمدى اشتياقك لى يا حضرة النقيب ، المفترض أنك لن تصبر على الاتصال حتى تخلع ملابسك ..

يبدو أن مزاج (هشام) الرومانسى يصاب بالعطب وقت الظهيرة ، فقد تجاهل قولى بقوله :

ـ ظننت أننى سأجدك نائمة بعد رحلة الأرياف الصعبة بالأمس ..

مططت شفتىّ وتجاوزت مشاعرى ، لأنظر إلى ساعة الحائط التى تتصدر الحائط أمامى قائلة :

ـ ومنذ متى أنام حتى الثالثة عصرًا مهما كنت متعبة ؟!

ـ لكن صوتك ليس على ما يرام ، هل نلت كفايتك من النوم البارحة ؟!

ـ نعم ، وبالنسبة لصوتى فهو الجوع ليس إلا !

ـ لعلك لم تتناولى إفطارك كالمعتاد ..

ـ كالمعتاد ..

ـ تريدين إذن أن أظهر أمام الناس فى حفل زفافنا بجوار هيكل عظمى !

ـ أخبرنى ، هل شعورى بأنك تتهكم علىّ صحيح ؟!

ـ إلى حد ما ، بالمناسبة الشقة انتهت تقريبًا ولم يبق إلا تحديد موعد زفافنا فى خلال الشهرين القادمين .. ألا تريدين القدوم لإلقاء نظرة على آخر التطورات ؟!

أمسكت ببطنى التى تصرخ وأنا أقول :

ـ ليس قبل أن أتناول ما يسكت معدتى المزعجة !

أتانى صوته الذى امتزج فيه تعب يوم العمل فى المباحث الجنائية ، بالدعابة والرغبة فى الارتياح :

ـ سأقترح عليكِ حلا عبقريًا ، يمكنك أن تطلبى الطعام عبر الهاتف من أقرب مطعم إليك ، هذه الخدمة انتشرت حديثًا وهم يطلقون عليها ـ بالمناسبة ـ توصيل الطلبات للمنازل ..

هذه المرة قلت فى استسخاف مصطنع :

ـ ظريف جدًا ..

زفر (هشام) فى سماعة الهاتف ، ثم إنه قال :

ـ هيا ، اطلبى الطعام على الفور وسأعاود الاتصال بك بعد أن آخذ حمامًا دافئًا ..

ـ لو لم أرد عليك بسرعة ، فحاول أن تتأكد من أن عامل توصيل الطلبات لم يقتلنى ..

ـ لا تخشى شيئًا ، لو فعلها فسأقبض عليه بنفسى وسأحرص على أن ينال محاكمة عادلة ..

ـ وهل ستتزوج بأخرى بعدى ؟!

ـ ليس قبل مرور ذكرى الأربعين ، كونى واثقة من هذا ..

خطيبان مثاليان على أعتاب الزواج !

وضعت السماعة وأخذت أقلب فى الصفحات الصقيلة والثقيلة لدليل دعائى فى حجم رواية جيب ، يحوى عناوين وهواتف مختلف مطاعم العاصمة ، بالذات تلك التى تقدم خدمة التوصيل ، نسيت من أين حصلت عليه ..

استغرقت وقتًا فى التقليب ومط الشفتين مع كل صفحة تطوى ، فأنا من أشد المناهضين لهذا النوع من الطعام ، (أكل السوق) كما كانت الدادة (رئيفة) رحمها الله تسميه وهى تشرف على تربيتى أثناء طفولتى البعيدة ، إنه الطعام الذى يجلب وجع البطن والغثيان والسمنة ويستنزف الأموال فى عملية نصب واضحة لا يخفيها الطرف الأول ويقبل بها الطرف الثانى على مضض ، لأن البدائل أحيانًا تكون معدومة ، كما فى هذا الحين بالتحديد على سبيل المثال ..

شطائر .. دجاج .. شاورما .. أسماك .. لحوم .. حلويات .. هامبورجر .. شيش طاووق .. بيتزا .. ثم رنين الهاتف من جديد ..

هل أنهى (هشام) حمامه الدافئ بهذه السرعة ؟!

ـ هل أنهيت حمامك الدافئ بهذه السرعة ؟!

قلتها فورًا وأنا أرفع السماعة مواصلة التقليب فى الدليل ، وكنت متكئة فى جلستى المسترخية على أريكة الصالة الوثيرة ، عندما قابلنى الطرف الآخر بالصمت مرة أخرى ..

ـ .. حركتك مكشوفة وان تخدعنى أيها الذكى ، إن عرش ثقتى العمياء لن يهتز هذه المرة ..

صمت من جديد ، جعل فئران صدرى تبدأ فى الحركة ، لكنى لم أترك لها الفرصة لتنطلق ، إذ انطلقتْ هاتفة فى انزعاج :

ـ .. (هشام) .. كف عن هذه الحركات الصبيانية من فضلك !

ـ إحم ..

كانت النحنحة كافية تمامًا لأدرك مدى الحرج الذى أنا فيه ، فأعتدل من اتكائى فى لمح البصر ، بالطبع سقط الدليل الدعائى من يدى ، واندفعت الحمم الدموية إلى وجنتى لتضحيا جمرتين متقدتين ، وتحرك لسانى فى رد فعل منعكس :

ـ من معى ؟!

ـ توت .. توت .. توت ..

كما هو واضح ، لقد أغلق الطرف الثانى السماعة على الفور بعد أن اعتراه نفس حرجى مضروبًا فى

مائة ضعف على الأقل ، بينما ظللت واجمة ممسكة بالسماعة وقلبى يدق كتتابع عجلات قطار سريع فوق قضبان ، بينما (نسرين الجبالى) الأخرى تنسلخ منى ، وتراقبنى من بعيد ضاحكة فى شماتة ، قائلة تلومنى فى توبيخ :

ـ حذرتك مرارًا من أن تتكلمى أولا قبل أن تسمعى الطرف الآخر ، على الأقل قولى (آلو) ، لهذا الغرض اخترعوا هذه الكلمة على ما أظن ..

لم أستطع أن أرد عليها وأجادلها رأسًا برأس كما أفعل كل مرة ..

للأسف ، إنها محقة ..

ترى من كان هذا ؟!

ليست واحدة من صديقاتى ، وليس أبى ، وليس (هشام) إلا إن كان يريد فسخ خطبتنا ، هؤلاء كل من يمكن أن يتصلوا بى فى المنزل ..

آه ، نسيت السيد (س) بالطبع ، وهو ليس من هواة إغلاق الخط مهما كانت الأسباب ، وقد كان سيجد فى قولى دافعًا قويًا للسخرية منى كما يفعل كل مرة ..

من إذن ؟!

الغريب أن الصوت مألوف ..

مألوف جدًا ، لكن (إحم) وحدها لا تكفى لتحديد هويته !

رن الهاتف فى يدى من جديد ، فنظرت إلى السماعة اللاسلكية البيضاء مليًا ، وبعد تردد ضغطت زر Talk ، لأقول ما يجب أن أقوله كفتاة مهذبة تعلمت الدرس :

ـ آلو !

ـ هكذا يمكننى أن أذهب فى سلام ..

قالتها (نسرين الجبالى) الأخرى التى انسلخت منى ، لتعود فتندمج فىّ مجددًا ، بينما رد الطرف الآخر بسرعة :

ـ ما هذه الوداعة ؟!

إنه (هشام) !

ـ .. توقعت أن تسألينني إن كنت أنهيت حمامى الدافئ بسرعة خارقة !!

قلت والوجوم يكسو نبرتى بجليد غير قابل للكسر :

ـ هل اتصلت بى منذ لحظات قليلة يا (هشام) ؟!

أعرفه عندما يكون صادقًا :

ـ أنا ؟! كلا بالطبع ..

.. وهو صادق الآن ، أو أن هذا ما أريد أن أصدقه أنا حتى لا تنتهى خطبتنا بلا زواج !

ـ .. ما الأمر ؟!

سألنى (هشام) مرددًا :

ـ .. هل حدثك أحد قبلى أم ماذا ؟!

قررت أن أتناسى الأمر تمامًا كأنه لم يكن :

ـ لا عليك ، مجرد سوء تفاهم ..

قال كما يقول دائمًا :

ـ فى أحيان كثيرة أعجز عن فهمك ..

قلت وكما أقول دائمًا :

ـ فى أحيان أكثر أعجز عن فهم نفسى فلا تلق بالا لمثل هذه التفاهات ..

الحمد لك يا رب ، ها أنا أستعيد قدرتى على المشاكسة وتكرار المحاورات البيزنطية لأصبح بحق (نسرين الجبالى) ..

زفر (هشام) وسألنى ما أراده من البداية :

ـ هل طلبتِ طعامًا عبر خدمة التوصيل ؟!

أجبته فى اقتضاب ، وأنا أنظر إلى الدليل الدعائى المكوّم فوق الأرضية :

ـ ليس بعد ..

ـ ما رأيك إذن أن أدعوك على الغداء فى الخارج ؟!

فكرت للحظة ، لكن الأمر ـ صراحة ـ لم يكن فى حاجة إلى تفكير :

ـ هل تحاول أن تكون لطيفًا بعد فوات الأوان ؟!

قال ضاحكًا :

ـ ما خفى كان أعظم ..

ـ كيف ؟! هل ستدعونى على العشاء أيضًا فى يوم واحد ؟!

ضحك أكثر :

ـ بل سأدعوك إلى أمر آخر حتى لا أشهر إفلاسى على أعتاب نهاية الشهر .. إن معى دعوة دخول سينما لشخصين ، دعوة مجانية بالطبع لحفلة السادسة مساء ، فما رأيك ؟!

هززت كتفى قائلة :

ـ لا بأس ، سأكون جاهزة فى انتظارك بعد نصف ساعة ..

ولم أخبره بالطبع أن هذا أكثر مما حلمت به ..

دعوة مجانية لى على الغداء ودعوة سينما مجانية لكلينا على أعتاب آخر الشهر ..

إنه الفردوس لو تعلمون !

* * *

انعكست الأضواء على زجاج نظارتى ، وأنا أخرج من بوابة المجمع السينمائى إلى هواء الليل الطلق ، وخلفى (هشام) يحاول أن يمنع الخارجين معنا من الالتصاق بى ، أو حتى لمسى !

أجمل ما فى حفل السادسة أنك تدخل والشمس فى السماء ، وتخرج بعد أن يخيم الليل ..

انتقالة ثورية جميلة خلال ساعتين من الصوت والضوء والمؤثرات والمتعة ..

ـ ألم يكن من الأفضل لو شاهدنا الفيلم الكوميدى ؟!

قالها (هشام) فى كدر ، بينما نظرت أنا إلى الأفيش الكبير المضىء الخاص بالفيلم الكوميدى الذى يتحدث عنه ، والماثل أمام بوابة المجمع السينمائى لأقول فى امتعاض :

ـ يا للتفاهة ، إنهم لم يكلفوا أنفسهم عناء تصميم أفيش جيّد حتى !

ـ على الأقل كنا سنضحك قليلاً ..

ـ السينما ليست ضحكًا فقط ..

ـ وليست رعبًا فقط ..

نظرت إليه بعينين باسمتين ، وأنا أمنع نفسى من الضحك رغمًا عنى ، لكنى قلت :

ـ هل أرعبك الفيلم حقًا ؟!

زفر (هشام) فى ضيق ، وقال متأففًا :

ـ ستطاردنى المسوخ التى شاهدتها طويلاً فى كوابيسى الليلية ..

هنا لم أستطع منع نفسى من إطلاق ضحكة قصيرة ، قائلة :

ـ ضابط شرطة يخاف من أفلام الرعب ، إننى أكتشف فيك شيئًا جديدًا كل يوم يا (هشام) ..

قال فى عصبية طفولية أحبها :

ـ ضابط الشرطة إنسان طبيعى ، يأكل ويشرب وينام ويخاف !

ـ لماذا لم تعترض إذن عندما اقترحت أن ندخل فيلم الرعب ؟! كان بإمكانك أن تفعل !

ـ لم أرد أن أضايقك أو أن أفرض رأيى عليك ..

نظرت إليه مليًا فى حب ، قبل أن أقول :

ـ جملة كهذه تجعلنى أحسد نفسى عليك فى الواقع ..

الغريب أن (هشام) لم يلتفت إلى عبارتى ، بل كان ينظر عبر بوابة المجمع السينمائى إلى شىء ما فى الداخل ـ وهو ما يؤكد أن الرجال بارعون حقًا فى إفساد اللحظات الرومانسية القليلة فى حياة أى أنثى ، فسألته محاولة النظر حيث ينظر :

ـ .. هل نسيت شيئًا فى الداخل أم ماذا ؟!

ـ كلا ، ولكن ..

حسم أمره فى النهاية قائلاً :

ـ .. انتظرينى هنا ريثما أعود من دورة المياه ..

وانطلق إلى الداخل كالسهم ، بينما وقفت أنا أمام أفيشات الأفلام أبتسم من سخريات الحياة وتناقضاتها التى لا تنتهى ..

إن الحب كائن عجيب حقًا ، يجعلنا نقبل ما لا يمكن قبوله ممن نحبهم ، و ...

ـ (نسرين) ..

اخترق الصوت أفكارى وقطع حبل خواطرى ، فالتفت إليه على الفور لأراه ..

وأعرفه ..

- (تامر) ؟!

هتفت بها فى دهشة وأنا أنظر إليه بعينين متسائلتين ، وعقلى يعمل كطاحونة ..

- نعم ، يا لها من صدفة ..

(تامر فوزى) هو أحد زملاء الدراسة - لمن يهوون تفويت قراءة المقدمات - العاشقين لفن الدراما والمحاربين من أجل فرصة للظهور والصعود نحو قمة النجومية ..

مرت على معرفتى به شهور تبلغ بالكاد حد العام المكتمل ، لم تتغير فيها هيئته التى تتراوح ما بين أناقة المحافظة وفوضى البوهيمية ..

الشعر الأسود الطويل اللامع المصفف على طريقة الفجر الأسبان ، الذقن نصف الحليقة ، السوالف التى تطول أحيانًا وتقصر أحيانًا تبعًا لمزاج شخصى لا يثبت على حال ، الملابس تتبع أحدث وأغرب الصيحات حيث ضجة الألوان وتداخل الأشكال التجريدية ، السلسلة الفضية السميكة حول الرقبة ،

وأخيرًا عبق العطر الرجالى النفاذ باهظ الثمن ..

سألته فى ارتباك وأنا أرسل بصرى نحو مدخل المجمع السينمائى :

- يا للروعة .. ما هى آخر أخبارك يا زميلى العزيز ؟!

لو خرج (هشام) الآن - وهو ما سيحدث بين لحظة وأخرى بالتأكيد - ووجدنى أتحدث معه فأنا فى ورطة قد تنهى حياتى الزوجية قبل أن تبدأ ..

- الأخبار عندك ..

قالها (تامر) باسمًا ، فأشحت بيدىّ متحدثة بطريقة مبالغ فيها جدًا :

- أنا بخير ، أشكرك على اهتمامك بى يا زميلى العزيز !

حاولت أن أصبغ كلماتى بروح الدعابة لكنى فشلت كما هو واضح ، غير أن شيئًا مما شعرت به لحظتها

لم يصل إلى (تامر) الذى كان يعرف هدفه جيدًا ، متحدثًا بكل أريحية :

ـ كنت أعنى أن الأخبار التى تسألينني عنها هى التى أنتظر سماعها منك ..

إنه ليس حديثًا عفويًا وتبادل مجاملات تقليدية إذن ، (تامر) يرمى إلى شىء ما لا أفهمه ..

ـ ماذا تعنى ؟!

سألته مقطبة فى غباء ، فأجابنى كشخص يعرف هدفه جيدًا :

ـ السيناريو .. هل قرأته ؟!

ـ السيناريو ؟!

سألته مقطبة فى غباء مجددًا ، عندما تذكرت كل شىء فجأة ..

ـ .. السيناريو .. أجل .. الذى أحضرته لى فى مقر الجريدة منذ يومين ..

ـ أسبوع تقريبًا .. هل قرأته ؟!

أجبته دون أن ينفك تقطيبى أو يتلاشى غبائى الذى أضحى متعمدًا :

ـ فى الحقيقة ليس بعد ، كنت مشغولة بعض الشىء فى إعداد تحقيق صحفى ستقرأه فى العدد القادم من الجريدة ، إنه تحقيق من نوع خاص يدور حول شخص مزيف يدعى أنه ...

لدهشتى قاطعنى (تامر) :

ـ والآن ؟!

فى الحقيقة أن هجومه قد أربكنى ، لكنى حاولت التماسك ، ناظرة له والتساؤلات تطفو كقوارب الفلين فوق بحيرة عقلى المائجة :

ـ انتهيت من التحقيق وسوف أقرأه بالتأكيد ، أعنى سأقرأ السيناريو لا التحقيق بالطبع !

ـ متى ؟!

يا للإلحاح المثير للشك !

لم أعهد فيه هذا الإلحاح من قبل ، وبدا من حصاره لى بالأسئلة المقتضبة أنه يمنح قراءتى للسيناريو

أهمية ما ، مما جعلنى أتخذ سمتًا فخورًا يرقى لمستوى هذه الأهمية وأنا أقول :

ـ فى أقرب فرصة ..

عاد يحاصرنى بسؤال آخر أقل اقتضابًا :

ـ هل لى أن أطمح فى موعد محدد ؟!

وجدتنى أهز كتفى وأقول :

ـ ربما غدًا ..

عاد يحاصرنى بسؤال آخر :

ـ غدًا ستقرئينه أم أعرف رأيك فيه ؟!

ـ ربما الاثنان معًا ..

عاد يحاصرنى :

ـ هل أعتبر هذا وعدًا ؟!

وقررت أخيرًا أن أخترق هذا الحصار الذى يحاول إحكامه من حولى ، وقد تبخر الارتباك فى لحظة الهجوم العكسى :

ـ دعنى أطرح عليك سؤالاً فى شكل ملحوظة ، أو ملحوظة فى شكل سؤال يا عزيزى (تامر) ..

ـ هذا من حقك بالطبع ..

ـ لماذا أشعر أنك تعلق أهمية ـ أستطيع وصفها بالكبرى ـ على قراءتى لهذا السيناريو ؟!

قابل كلماتى الذكية (على الأقل أنا أراها كذلك) بالصمت لحيظات ، ثم خيل إلى أن بسمة غامضة قد علت شفتيه إذ قال :

ـ من الواضح أن ذكاءك يفوق تصورى بكثير ..

مدح أم قدح ؟!

الأعمال ـ والأقوال أيضًا ـ بالنيات !

ـ أشكرك على أية حال ، لكنى أنتظر تفسيرًا لو كنت تملك واحدًا ..

مزيد من الغموض الموحى ببسمة واسعة ، أو العكس :

ـ اقرئى السيناريو وستعرفين ..

ـ سأفعل ..

كأنى قد قبلت التحدى لو كان الأمر يمثل تحديًا ..

ـ وأنا سأمر عليك فى مقر الجريدة غدًا لأعرف رأيك ..

ـ لا مشكلة ..

وعدت أنظر إلى مدخل المجمع السينمائى ، لحسن الحظ لم يظهر (هشام) حتى الآن وها هو (تامر) يستعد لتركى وحيدة ..

ـ بالمناسبة ، يجب أن أعتذر لك ..

قالها (تامر) قبل أن يتركنى ، فأجج نيران ارتباكى ..

ـ تعتذر لى أنا ؟!

هتفت بها مقطبة ، وقد خيل إلى أن شبح (هشام) قد ظهر عند المدخل أخيرًا ، فى الوقت المناسب لبداية كارثة ..

ابتسم (تامر) بسمة كرهتها ، وقال :

ـ بالطبع ، سأحاول الاتصال بك فى المنزل فى أوقات مناسبة أكثر ..

فغرت فاهى ، بينما أشار (تامر) بيديه :

ـ .. إلى اللقاء غدًا ، وأعتذر من جديد ..

وابتعد أخيرًا ، فى اللحظة التى كان (هشام) فيها يقف بجوارى مكفهرًا ، وعلى الفور انطلق وابل من القنابل العنقودية ، عالية الدوى والتأثير على حد سواء ..

ـ من هذا ؟! وماذا كان يفعل هنا ؟! لقد رأيته يتحدث إليك .. كيف يتحدث إليك شاب وأنتما واقفان وحدكما فى الشارع ؟! ألا يعلم أنك مخطوبة ؟! ماذا سيظن من يراكما ؟! أظن أننى رأيته من قبل .. ما هذا الصمت ؟! لماذا لا تردين علىّ ؟! هل أحدث نفسى أم ماذا ؟!

لم أرد يا (هشام) لأن الأفكار تمور فى رأسى ، والأسئلة تنهش خلاياى كالكلاب المسعورة ..

ما حكاية هذا السيناريو ؟!

وما سر إلحاح (تامر فوزى) الغريب ـ والمريب ـ لكى يعرف رأيى فيه ؟!

وهل حقًا كان لقائى بـ (تامر) هنا الآن ..

مجرد صدفة ؟!

* * *

٢ قطع إلى ..

فتح (فرج) الباب بعينين محمرتين ، ونظر بجفنين نصف مفتوحين ـ من أثر الضوء ـ نحوى ليكتشف بعد هنيهة أننى :

ـ آنسة (نسرين) ؟!

وضعتُ على شفتىّ نصف ابتسامة أدارى بها حرجى ، وأنا أقول :

ـ أجل ، نسيت شيئًا مهمًا فى مكتبى يا (فرج) ويجب أن أدخل لأخذه ..

(فرج) ـ لمن لم يستنتج بعد ـ هو الساعى ومشرف المطبخ والغفير الوحيد الذى يبيت ليالليه فى مقر جريدة (الأربعاء) ، شاب ريفى أسمر وقصير القامة ، فى الثلاثينات أسمر وناعم الشعر وينام مبكرًا لأنه أول من يفتح المكتب فى السادسة صباحًا ..

حاول (فرج) إشعارى بالذنب ، ناظرًا فى ساعة يده ، لكنى عاجلته قبل أن يقول شيئًا :

ـ إنها ما زالت العاشرة والنصف ، لا تقلق ..

تثاءب (فرج) ، لكنه واهم لو فكر أننى قد أعير تثاؤبه انتباهًا :

ـ هل ستغيبين فى الداخل يا آنسة (نسرين) ؟!

قلت وأنا أتقدم نحوه ليفسح لى طريقًا عنوة :

ـ لا تشغل أنت بالك ، ادخل ونم وأنا سأغلق الباب خلفى عندما أنتهى مما ورائى ..

أفسح لى طريقًا للدخول وعلى وجهه أمارات الرفض ، لكنه واهم مرة أخرى لو تصور أن أى شىء فى هذا الكون سيجعلنى أتراجع عما عقدت عليه العزم ..

إنه واهم لأنه لا يعرف من هى (نسرين الجبالى) ، هذا كل ما فى الأمر !

دخلت فى الظلام مهتدية بالضوء الشحيح الصادر من غرفة (فرج) ، وفور أن احتوتنى غرفتى أضأت مصباحها الكهربى فوق سطح المكتب ، وعلى الفور فتحت الأدراج كلها ، وبحثت بين أكوام الصحف والمجلات المتكدسة فى داخلها حتى وجدته أخيرًا ..

السيناريو ..

أمسكت به فى يدى ورفعته كأنى أختبر ثقله ..

نظرت إليه مليًا كأننى أتأكد من أنه هو ..

أكثر من مائة وخمسين صفحة تقريبًا تخترق جانبها أسلاك بلاستيكية فيما يسمى بالتجليد الحلزونى ، والغلاف يحمل العنوان الضخم بالإضافة لتصريح الرقابة على المصنفات الفنية بخط اليد ..

ضوء مصباح المكتب يجعل ظلى عملاقًا على الجدار ، ويوضح الكلمات إلى حد القراءة ..

الغامض

(عنوان مؤقت)

قصة

تامر فوزى

سيناريو وحوار

د. محمد عبد الحميد

العنوان مبتذل بعض الشىء ، تقليدى بعض الشىء ، تمتلئ محلات الفيديو من الدرجة الثالثة بالأفلام التى تحمل عناوين من هذا النوع ..

يبدو أن كاتباه قد فطنا إلى هذا فأوضحا أنه مجرد عنوان مؤقت ربما يتم تغييره لاحقًا ..

إن هذه الأوراق هى بداية أى عمل فنى قويًا كان أو ضعيفًا ..

حقًا ، فى البدء كانت الكلمة ..

بلهفة عارمة وقلب خافق من فرط الإثارة جلست خلف مكتبى فى الظلمة الدامسة التى لا يبددها إلا من ضوء مصباح المكتب ، وانخرطت فى تقليب الصفحات بعينين متسعتين ..

ومع كل صفحة تطوى كانت عيناى تتسعان أكثر ..

وقلبى يخفق أسرع ..

وتزاحمت فى صدرى مختلف أنواع المشاعر ..

لم أكن أتوقع هذا على الإطلاق ..

. على الإطلاق ..

وعندما انتهيت أخيرًا من قراءة الأوراق كاملة ، كان آذان الفجر ينطلق عبر نافذة الغرفة المجاورة ، وكانت أنفاسى تتلاحق كأنى خارجة من ماراثون أوليمبى عنيف ..

يا إلهى ، هل مر كل هذا الوقت حقًا دون أن أشعر ؟!

يجب أن أعود إلى المنزل الآن ..

لكن ..

نظرة أخرى بعينين احمرتا من فرط الإجهاد والسهر إليه جعلتنى أحسم أمرى ..

وأبدأ فى قراءة السيناريو مرة أخرى ..

فى نهم شديد !!

* * *

ـ الآن فهمت ..

قلتها وأنا أضع كوب النسكافيه الصباحى المعتاد أمامى على سطح المكتب الزجاجى ، وأجاهد لإبقاء جفنى المحمرين مفتوحين ..

ـ عظيم .. وما رأيك ؟!

قالها (تامر) الجالس أمامى واضعًا ساقًا فوق أخرى ، وبسمته المعتادة تترنح بين الهدوء والتحفز ، لم يختلف مظهره كثيرًا عن الأمس ، المزيد من ضجيج الملابس والألوان فقط ..

ثم إنه مد يده نحو كوب القهوة المزدوجة منزوعة السكر ، أحد أمزجته الغريبة الأخرى ، بينما أغمغم نافضة صداع النوم القليل عن رأسى المتعب :

ـ ليس رأيى مما يصعب استنتاجه ..

أمسكت بصدغى محاولة منع مخى من الانفجار داخل جمجمتى متابعة :

ـ .. هل تصدق أننى قرأته مرتين كاملتين ليلة الأمس هنا فى مكتبى ، وبدأت فى القراءة الثالثة فعلا لولا مقدمك الآن ؟!

ـ أجيبى سؤالى إذن بمنتهى المباشرة ..

ثم إنه مال نحوى مثبتًا عينيه فى عينى :

ـ .. ما رأيك ؟!

أبعدت عينى من مجال رؤيته ، لفنى صمت بليغ وأنا أنظر إلى السيناريو القابع فى استكانة على سطح المكتب ..

أمسكت به فركضت الصفحات بين أصابعى ، وفى النهاية نظرت إلى (تامر) الذى كان الفضول قد بلغ فى ملامحه منتهاه ، وقررت أن أكون واضحة إلى أقصى حد ، صريحة إلى أقصى حد ، ومحددة إلى أقصى حد :

ـ مرعب !

تفرس (تامر) فىّ محاولا فهم النعت على أى من وجهيه ، قبل أن يقول مقطبًا :

ـ قد يعنى هذا أنه رائع وقد يعنى أنه مقيت !!

أضفت بنبرة عميقة وأنا أعاود النظر جهة السيناريو :

ـ قرأت نفسى فى كل سطر من سطوره !

هنا فقط شعر (تامر) بالرضا التام عن نفسه ، فتراجع ليلتحم ظهره بظهر المقعد ، وغردت بلابل البسمة الواثقة على شفتيه الحادتين ..

قال بعد أن طال الصمت بيننا ، وخانتنى جفونى فسقطت تغطى عينى رغمًا عنى :

ـ كان بودى أن نتناقش بشأنه الآن ..

ـ أنا الآن لا أصلح إلا للإلقاء فى سلة المهملات ..

ـ لا بأس ..

قالها ناهضًا دون أن يكمل قهوته السادة المزدوجة ، ثم تابع مشيرًا إلى السيناريو بدوره :

ـ .. لنؤجل المناقشة على أهميتها إلى وقت لاحق ، عندما تكونى مستعدة يمكنك أن تهاتفينى ، أعتقد أن رقم هاتفى لا يزال معك .....

بتر (تامر) عبارته مبهوتًا ، إذ قاطعه صوت أنفاسى المنتظمة التى تدل على التحليق فى عوالم النوم ، فى جلستى مطرقة الرأس خلف مكتب مدير قسم التحقيقات فى الجريدة ..

مكتبى !

وليبق الفخر ـ مثل كل المسائل الكونية الأخرى ـ مسألة نسبية !

★ ★ ★

قضمت قضمة كبيرة من شطيرة الهامبورجر ، وأنا أستمع إلى (تامر) الذى يتحدث منذ مدة دون أن يمد يده إلى شطيرته التى بدأت تبرد أمامه :

ـ تعرفين طبعًا بحكم زمالتنا فى الكلية ، وخوضنا معًا مغامرة مسرحية (الأعرج) ولعى بالفن ، وحلمى فى تحقيق ذاتى من خلاله .. لقد صادفتنى طوال هذا العلم الكثير من الفرص للعمل كفتى إعلانات وسيم ، وكمقدم برامج تافهة فى القنوات الفضائية ، وفرصًا أخرى للتمثيل فى المسلسلات التليفزيونية المستهلكة التى لم يعد أحد يشاهدها ، وأيضًا فى مسارح القطاع الخاص التى أصبحت تنافس الملاهى الليلية من حيث الابتذال والتسطيح والسوقية ، لكنى رفضت هذا كله ، وفضلت أن أوجه كل مجهودى فى طريق واحد .. هو السينما بكل ما تحمله من سحر وغموض وعنفوان ..

لم يكن ما يقوله جديدًا علىّ بأى حال ، فقد تحدثنا فى هذا باستفاضة عندما زارنى فى الجريدة حاملا معه نسخة السيناريو منذ أيام ، لكنى تركته يكمل ريثما أنهى شطيرتى ، فهى الأيام الأخيرة التى سآكل فيها كما أحب ، لأننى سأبدأ (حمية) خاصة بى يوم السبت القادم ..

ألا ترون كيف أصبحت فيلا صغيرًا ؟!

ـ .. لا أقصد بالطبع سينما هذه الأيام المجوفة الخالية من المعنى والمبنى ، القائمة على ثقافة النكتة الفجة والأغنية الراقصة والنجم الأوحد ، ومن يستطيع أن يُضحك أكثر أو يقتنص أكبر قدر من ملايين شباك التذاكر فى موسم الصيف أو الأعياد ، لقد واتتنى أكثر من فرصة للعمل فى هذا السيرك الفنى لكنى رفضتها أيضًا ، وفضلت أن أقتحم هذا المجال بقوانينى الخاصة ، مهما كبدنى ذلك من عراقيل فى سبيل الظهور ورؤية النور .. إننى أقصد السينما الأخرى الحقيقية ، الفن الراقى الذى لا يضع قوانين السوق نصب عينيه بقدر ما يضع القيمة الفنية ، ولا يضع حسابات كبرى لملايين الإيرادات بقدر ما يضع فى حسبانه ملايين القلوب التى تخفق بحب السينما ، كيف يمكن أن نقدم لها شيئًا جميلاً غير مزيف ، شيئًا يكون هدفه الارتفاع بالوجدان أكثر من استدرار الأموال من الجيوب ، شيئًا غير قابل للتنازل فى سبيل ما يراه منتج أفاق ، أو نجم مغرور ، أو ممثلة ناشئة ، وهكذا تعاونت مع كاتب سيناريو صديق على كتابة هذا الفيلم ، والغريب

أننى قابلت من تحمس لإنتاجه ، ومنذ شهرين ونحن فى مرحلة التحضير الفعلى لنبدأ التصوير بعد أسبوعين على الأكثر !

سعلت بشدة وقد توقفت اللقمة فى حلقومى ، فاتتفض (تامر) مادًا إلىّ يده بكوب المياه الغازية الخاص به الذى لم يلمسه هو الآخر ، وفور أن استعدت أنفاسى سألته :

ـ سيبدأ تصوير هذا الفيلم فى خلال أسبوعين فقط ؟!

هز رأسه مستغربًا وهو يستقيم فى جلسته كما كان ، قائلاً :

ـ أجل .. هل لديك اعتراض ما ؟!

هتفت على الفور لأبعد الفكرة عن رأسه :

ـ كلا .. كلا بالطبع .. لكنه شعور غريب فقط ..

ابتسم فى تفهم قائلاً :

ـ أن يتم إنتاج فيلم محوره حياتكِ الخاصة ، أليس كذلك ؟!

شردت ببصرى فى المجهول للحظات وقد تبخرت شهيتى نحو الشطيرة ، وهززت رأسى مغمغمة فى وجوم :

ـ بلى ، شعور غريب جدًا أن يتم إنتاج فيلم عنى .. عنى أنا ..

نعم يا سادة ..

هذا السيناريو عنى أنا ..

وعندما أقول إنه عنى (أنا) ، فأنا أعنى ما أقول حرفيًا !

إنه يروى فى لقطات سينمائية مفصلة ، قصة صحفية شابة تدعى (نادين الجبلاوى) ، فقدت أمها فى المهد ويعمل والدها الدكتور (فايق .. الجبلاوى) جراحًا شهيرًا للمخ والأعصاب ، بينما يعمل خطيبها العصبى الغيور (هاشم) رائدًا فى المباحث الجنائية ، وهناك أيضًا السيد (س) الغامض الذى لا يعرفه أحد ـ يحمل عنوان الفيلم المؤقت نعته ، (الغامض) ـ والذى يحادثها فى الهاتف ويظهر لها فى الأحلام والرؤى الغريبة ، و ...

ماذا بعد ؟!

كل شيء في السيناريو يدور حولى ، وحول عالمى الخاص الذى يعرفه القراء عبر تحقيقاتى فى الجريدة ، ومنهم (تامر) بالطبع الذى يعرف أكثر بحكم زمالة تقف عند أعتاب الصداقة ..

هو ليس فيلمًا تسجيليًا بالطبع ليحرص على كل التفصيلات التحقيقية ، لذا تحورت الأسماء قليلاً وتم إجراء بعض التغييرات لصالح الدراما ، تستطيع أن تقول أنه مستوحى من قصتى مع السيد (س) ، وهو ما تم التنويه إليه فى الصفحة الأولى من السيناريو بعبارة (مأخوذ عن قصة حقيقية) ..

تذكرت الأحداث المكتوبة بالتفصيل وبصرى شارد فى المجهول ، قبل أن أعود فأنظر إلى (تامر) الذى كان يتسلى بمراقبتى ، كأنه يراقب كائنًا فضائيًا تم اصطياده وحبسه فى قفص زجاجى ومهمته أن يلاحظ سلوكياته فى أوقات الفراغ ، وتساءلت :

ــ .. لكن قل لى ، ألم تقس على الأبطال كثيرًا ، أعنى بالنسبة للمصير النهائى لكل منهم ؟!

هز رأسه بالإيجاب قائلاً :

ــ بلى ، كان هذا متعمدًا ..

ــ ولِمَ ؟!

مال نحوى كأنه يناقش مقدمة برنامج حوارى أمام عدسة كاميرا ، وقال :

ــ لعلك قد لاحظت أن الأحداث كلها قاتمة ، وأن الفيلم ينتمى إلى نوعية الأفلام المظلمة أو السوداء film noire ، وهكذا كان لابد أن تمضى المصائر فى مساراتها المحتومة نحو هذه النهايات التى ترينها قاسية ..

أغاظتنى عباراته المنمقة ، فضيقت عينى قائلة :

ــ إنك تنسف حياتى فى هذا السيناريو نسفًا ، جميع الرجال الذين أعرفهم تقريبًا يموتون ، خطيبى وأبى وحتى السيد (س) نفسه !

عاد (تامر) يتقمص شخصية النجم فى برنامج حوارى ، ويقول فى أداء نصف تمثيلى :

ــ إن السيناريو يستعرض قصة خيالية تمامًا من خلالك ومن وجهة نظركِ أنتِ كشخصية محورية ، بحيث تتم

سلسلة من جرائم القتل للمقربين لك ، أمك فى المهد أولا ثم والدك ثم خطيبك ، وبالرغم من أن السيد (س) يساعدك فى إعطاء مفاتيح لكشف الجرائم تباعًا ، إلا أن النهاية المفاجئة تكون فى أنه هو من ارتكب هذه الجرائم ، تمهيدًا لقتلك أنت شخصيًا ، ثم ينتحر أخيرًا .. لكن النهاية مع ذلك تظل مفتوحة فى احتمال كون السيد (س) هذا مجرد وهم ، وأنه انعكاس لشخصية سوداء ولدت فى داخلك ، بمعنى احتمالية أن تكونى أنتِ من ارتكب هذه الجرائم قبل انتحارك !

عقدت ساعدى أمام صدرى قائلة فى غير اقتناع :

ـ وأين عثرت على منتج مجنون لهذا الفيلم ، منتج لا يهمه أن يربح نقودًا ؟!

عادت البسمة تتراقص على محيا (تامر) ، وهو يسألنى فى خبث :

ـ أتعتقدين أن هذا الفيلم مشروع خاسر بالفعل ؟!

هززت كتفى قبل أن أرد قائلة بلا تفكير :

ـ من الناحية التجارية نعم وبكل تأكيد ، فهو تمرد على النغمة السائدة فى سينما هذه الأيام على ما أعتقد ..

ـ بمعنى آخر مغامرة ..

ـ غير آمنة ومحفوفة بالمخاطر ، لو أردت رأيى ..

ـ رغم كونك محقة جزئيًا إلا أننى لم أتوقع أن يكون هذا هو رأيك أنتِ بالذات ..

ـ أنت لا تفهمنى ، إعجابى بالقصة ودقة التفاصيل وكيفية رسم الحدث شىء ، وإيمانى بنجاحها أو عدمه شىء آخر .. إنها قصة ملائمة للجمهور الغربى المعتاد مشاهدة هذا النوع من المغامرات على الشاشات السينمائية ، لكن هنا .. أعتقد أن ذوق المشاهد لدينا مختلف قليلاً ..

هز (تامر) رأسه فى تفهم ، ثم قال :

ـ وجهة نظر أنيقة ..

ثم إنه عاد يميل نحوى ، قائلاً كأن الفكرة التى انقدحت فى عقله قد رائقته إلى أقصى حد :

ـ .. هل أنتِ مشغولة غدًا فى العاشرة مساء ؟!

وجدت نفسى أقول دون استفسار عن سبب السؤال ، كأنى قد حدسته أو انتظرته :

ـ لا أعتقد ..

ـ يمكننى إذن أن أدعوك على حفل فى منزل المنتج ، للدقة المنتجة ، سيكون المخرج وكاتب السيناريو هناك وهى فرصة عظيمة للتعرف عليهما ..

كدت أصيح فى وجهه أن هذا يسعدنى حتمًا ، لكنى قررت ارتداء سمت الفتاة العاقلة التى لا يبهرها شىء ، فقلت متصنعة الحيرة :

ـ لا أدرى .. إننى ...

ضرب (تامر) على أكثر أوتارى حساسية ، وقد كان يدخر هذا الوتر للنهاية على ما يبدو :

ـ أعتقد أنها ستكون فرصة أعظم لرؤية الفنانة الشابة التى ستؤدى دورك فى الفيلم ..

طال الصمت ، وكان جوابى واضحًا ، إلا أن (تامر) قرر أن يمضى فى لعبه على أعصابى العارية حتى النهاية :

ـ ها ؟! هل ستأتين ؟!

طال الصمت أكثر ، لا لشىء إلا لأننى كنت أنظر فى ناحية أخرى تمامًا ..

فعبر باب المطعم الزجاجى كان آخر شخص يخطر ببالى يدخل الآن ..

ـ .. علام تنظرين ؟!

(هشام) ..

ـ .. أليس هذا خطيبك الرائد (هشام) ؟!

ـ أصبح الآن نقيبًا ..

فى ظروف أخرى كنت سأتكمش خوفًا من غيرته العمياء ، وهو يرانى أتناول الغداء مع الشخص الذى رآنى أتحدث معه أمام السينما بالأمس ..

لكن الآن ، الوضع مختلف ..

الوضع مقلوب ..

ـ ومن هذه التى معه ؟!

إن (هشام) يدخل الآن إلى مطعم الوجبات الأمريكية السريعة ومعه (ماهيتاب) ابنة خالته ، بملابسها الفاضحة

وشعرها الذهبى المصبوغ وأظفـان مساحيق التجميل فوق خلقتها ، (ماهيتاب) التى تطارده منذ زمن ، وتحلم بالزواج به منذ كانا طفلين ..

على من يريد أن يتذكر (ماهيتاب) أن يراجع كتيب (نقطة الصفر) ، وعلى من يريد أن يعيش للحظة أن ينظر إلى (هشام) الذى تجمد بجوار الباب خلف الآنسة (ماهيتاب) ، ناقلا بصره بينى وبين (تامر) الجالس أمامى ، بينما أرفع أنا يدى محيية إياه و(ماهيتاب) التى تجمدت بدورها ..

حييتهما ببسمة واسعة سخيفة مصطنعة ، ولم يكن الأمر يحتمل المزيد ..

علىّ أن أغادر هذا المكان ..

فورًا ..

* * *

٣ ـ أزمـــة ..

هتف (تامر فوزى) وهو يشير إلىّ :

ـ أيها السادة ، أقدم لكم الشخصية الحقيقية لبطلتنا ..

صوت ذكورى متسائل :

ـ (نادين الجبلاوى) ؟!

صحح (تامر) :

ـ (نسرين الجبالى) ، هذا هو اسمها الحقيقى ..

ثم إنه فرد ذراعه مشيرًا إلىّ وهو يبتسم ، بينما تعالت الهتافات المرحبة ، وتم إفساح مجال لإجلاسى على الفور ، فوجدت نفسى فى الثانية التالية جالسة فى محيط المائدة المنخفضة على ضفة حمام السباحة ، الذى يترقرق ماؤه ملامسًا الحواف ، تحت سماء الليل المرصعة بالنجوم والسحب الضبابية الخفيفة ..

إنها فيلا كبيرة ، بالأحرى قصر ضخم عند أطراف (المريوطية) ، أتيت إليه فى سيارة أبى القديمة ، التى عثرت لها على مكان بصعوبة ، وسط أرتال السيارات الفارهة الحابسة للأنفاس بالخارج ، وكنت أرتدى ملابسى

البسيطة المعتادة ، ولا أضع أى نوع من الزينة على ملامحى ، مما جعلنى أبدو غريبة وسط المدعوات اللاتى يرتدين أفخم الأثواب الموقعة من بيوت أزياء عالمية شهيرة ، ويضعن زينة جعلتهن أميرات فى ليلة أسطورية ، وعن الرجال فى الحلل الرسمية اللامعة حدث ولا حرج ..

أستطيع أن أذكر لك أسماء عشرين من الحضور على الأقل ، فكلهم نجوم لهم وزنهم فى عالم النجومية السينمائية أو التليفزيونية ، لكنى بارعة فى مداراة انبهارى واهتمامى بالآخرين حقًا ..

إننى نجمة الحفل بلا منازع مهما ارتديت ، ومهما كان وجهى عاريًا من الزينة ، يكفى أن هناك فيلمًا سينمائيًا سيتم تصويره مأخوذ عن قصة حياتى ، وأنا ما زلت فى بداية العقد الثالث من العمر فحسب ..

كان (تامر فوزى) يرتدى بدوره حلة رسمية غريبة اللون والأطوار ، مما يليق بشخصيته ، وقد تولى مشكورًا ـ بعد أن قدمنى ـ مهمة تقديم الجميع على التوالى ، على أنغام الموسيقى الصادرة من سماعات خفية ، بينما أجاهد

لمقاومة رائحة الطعام الآتية من جهة البوفيه الكبير بجوار حمام السباحة عند الناحية الأخرى !

ـ السيدة (نورا عبود) طبعًا ، غنية عن التعريف ..

امرأة فى أواسط الخمسينات ، شعرها أشقر مصبوغ ، ووجهها مليح غارق فى الزينة والتجاعيد ، إذ تهزه مرحًا فى رفق ، ثم إن ملامحها مألوفة للغاية لمن يملك البصر والذاكرة ..

إنها بالفعل غنية عن التعريف ، كانت نجمة سينمائية يشار لها بالبنان فى حقبة زمنية انتهت ، والآن بعد أن تقدم بها العمر وذوت زهرة الجمال الفانى ، أصبحت مجرد تاريخ ..

ذكرى ..

ضيفة شرف فى مسلسلات التليفزيون والبرامج الحوارية ، ومادة لصحف الأخبار الفنية عندما لا تجد ما تنقله عن نجوم هذه الأيام ..

(نورا عبود) النجمة التى خبا لمعانها ، فأخذت مكانها على رفوف النسيان والأفول ..

هززت رأسى أرد لها تحيتها الرقيقة ، بينما (تامر) يواصل :

ـ إنها التى تصدت ـ بشجاعة نادرة وفروسية بلا نظير ـ لإنتاج الفيلم فى هذا الزمن الصعب ..

ـ لهذا أطلقت على شركتها الإنتاجية (أفلام الزمن الجميل) .

اتجهت بعينى إلى قائل العبارة التى أجهل إن كانت دعابة أم حقيقة ، بينما تصدى (تامر) بشجاعة نادرة وفروسية بلا نظير لمهمة تعريفى به :

ـ الدكتور (محمد عبد المجيد) ، إنه ...

أكملت عنه :

ـ كاتب السيناريو والحوار ، اسمه يضىء الغلاف ..

ـ أخجلتِ تواضعى ..

قالها الرجل الذى يتحدث من أنفه ، فيما غرقت أنا فى تأمله ..

نحيف لدرجة أنه يبدو ساقطًا فى البذلة الكالحة

الواسعة التى يرتديها ، بارز عظام الوجه كالهيكل العظمىّ المكسو جلدًا ، النظارة المقعرة على عينيه تجعل منهما نقطتين من سواد ، شعره خفيف أسود ناعم مصفف على الجانب الأيسر ، أصابع يده النحاتة الطويلة التى يلوح بها فى الهواء ، تجعل من مظهره مأساة كاملة لا ينقصها إلا السير على قدمين ، هذا لو نحّينا جانبًا افتعاله فى التحدث ، كأنه يمثل دورًا فى مسلسل إذاعى !

ـ إنه طبيب فى الأساس ..

قالها (تامر) ، وأتبع الدكتور بنفسه :

ـ لكنى عاشق للسينما ..

تساءلت من باب الفضول المشبع بالدهشة من أسلوبه فى الحديث :

ـ فى أى تخصص من الطب تعمل يا دكتور ؟!

ـ أمراض نفسية وعصبية ..

ـ خمّنْتُ هذا !

ولم أفسر مقصدى الذى لم يكن بريئًا إلى هذا الحد ، بينما استمر (تامر) فى أداء مهمته بتفانٍ :

ـ الأستاذ (أحمد عبد المجيد) ، المخرج ..

وأشار إلى الجالس بجوار الطبيب ، نحيل هو الآخر ، لكنه طويل القامة كلاعبى كرة السلة ، يرتدى نظارة (هريرا) ذات ماركة واضحة ، له نصف لحية دائرية خفيفة أسفل ذقنه كأنها بصقة سوداء ، يرتدى قبعة فرنسية غريبة وملابس غير مهندمة وغير منسجمة ، ومعه حقيبة من القماش الكاكى لا تصلح لأن يوضع فيها شىء ، وهو جالس فى فخر ليس له ما يبرره ، واضعًا ساقًا طويلة فوق أخرى لا تقل عنها طولاً ..

إنه يحاول الإعلان بكل هذه التفاصيل الصغيرة عن عبقريته ، هذا واضح خاصة أنه لم ينطق بكلمة ، حتى عندما قلت :

ـ تشرفنا ..

.. كأنه يتجاهلنى أو يتعمد الإقلال من شأنى ، ليس كراهية موجهة لى بالذات ، لكنها كراهية موجهة للبشر أجمعين ، إننا أصحاب أدوار ثانوية فى فيلم حياته ، لذا فنحن جميعًا لا نستحق الاهتمام ..

ـ بالمناسبة ، إن (أحمد عبد المجيد) و(محمد عبد المجيد) شقيقان لو لم يكن هذا واضحًا ..

توقعت هذا أيضًا ، ليس لتشابه فى ملامحهما الشكلية لا سمح الله ، ولكن :

ـ وهل للأستاذ (أحمد) أيضًا علاقة ما بالأمراض النفسية والعصبية كشقيقه ؟!

استنفر السؤال خلايا الكراهية فى كوامن المخرج العبقرى ، لكن ليس إلى الحد الذى يدفعه للتنازل والتفوه بحرف ، بينما أجابنى (تامر) محاولا إبعاد السؤال عن مغزاه الخبيث :

ـ كلا ، الأستاذ (أحمد) فى الأساس دارس للفنون الجميلة .. ويعمل الآن مساعد إخراج للبرامج التليفزيونية فى التليفزيون الوطنى .. وله فى مجال الإخراج تجربتان فى مجال الأفلام التسجيلية القصيرة ، فيلم مدته أربع دقائق ، وفيلم آخر مدته سبع دقائق ونصف !

أى أن الحصيلة الوقتية كلها لا تتعدى الربع ساعة ، ويسمى نفسه مخرجًا !!

هذا ما جال بخاطرى لحظتها ، لكنى تمالكت نفسى وقررت أن أكون أقل وقاحة ..

ـ هذا رائع ، ولا تجارب سابقة فى مجال السينما الروائية ؟!

تساءلت بلهجة مشابهة للهجتى الأولى ، فاستنفر السؤال المزيد من خلايا الكراهية فى كوامن مخرج الربع ساعة ، وأجابنى (تامر) ناظرًا نحوى بنظرة ذات مغزى :

ـ ليس بعد ..

المغزى : صمتًا حتى لا تفسدى الليلة !

ثم إنه عاد إلى مهمته الأولى مشيرًا لآخر الجالسات حول مائدتنا المنخفضة ، الشابة التى لم يكن من الصعب استنتاج هويتها :

ـ .. وأخيرًا دعينى أقدم لك (شهد) ، نجمة المستقبل السينمائى فى الشرق الأوسط بأسره ..

كانت تجلس إلى جوار (نورا عبود) ، وتشرب من كوب عصير البرتقال فى رقة بروتوكولية ..

فى نهايات العقد الثانى من العمر بالكاد ، شعرها طويل تم صبغه وكيُه بعناية عند مصفف شعر محترف كما تقضى الأعراف ، زينتها مبالغ فيها كما تقضى الأعراف ، ترتدى ملابس مكشوفة إلى حد ما كما تقضى الأعراف ، نظراتها حادة وفاضحة كما تقضى الأعراف ، وعن أعراف النجمات الشابات أتحدث كما هو واضح ..

من الصعب أن أقول إننى لم أر وجهها من قبل ، لقد مثّلتْ بالتأكيد فى إعلانات تجارية ، وأغانى فيديو كليب ، وربما مشاهد قصيرة داخل مسلسلات وأفلام ؛ مما لا يدع مجالاً لشخص كى يتذكرها ، لكنى رأيتها مسبقًا ، ويمكننى الجزم بهذا ..

ـ .. (شهد) هى التى ستقوم بدور الصحفية ، دورك بمعنى أصح ..

قالها (تامر) مخاطبًا إياى ، وأخذت أنا أدقق النظر مقطبة ؛ علّنى أجد بيننا أى تشابه ، فعلّق (تامر) كأنه يقرأ من كتاب أفكارى المفتوح :

ـ .. دعكِ من التشابه الشكلى ، إنها ممثلة بارعة .. تلميذتى ..

نطق الكلمة الأخيرة فى فخر لا أعلم مصدره ، وهو يربت براحته على صدره ، فابتسمت (شهد) فى مجاملة له ، وقالت مائلة نحوى :

ـ عندما ترينني فى البلاتوه لن تعرفيني ، ستظنني أنت ..

بادلتها البسمة والمجاملة الكاذبة إلى أقصى حد :

ـ إنى أشعر كأنى أنظر فى مرآة الآن !!

ـ لكن أخبريني يا آنسة (نسرين) ..

النبرة الهادئة المفتعلة جعلتنى ألتفت إلى الدكتور (محمد) الذى أنشأ يتابع :

ـ .. هل تعيشين هذه الحياة المفعمة بالغموض والمخاطر حسبما نقرأ فى تحقيقاتك ، أم أن للخيال دوره فى حبك الطبخة وتتبيلها ، ثم تقديمها شهية للجماهير ؟!

أزعجنى تشبيهه لما أكتب بما يُطهى ، فرددت بنوع من الحدة :

ـ ليس للخيال أدنى صلة بما أكتبه يا دكتور ، إننى أكتب تحقيقات السيد (س) كأنى أكتب مذكراتى الشخصية !

قالت الفنانة القديمة (نورا) بصوتها الذى يشبه نحاسًا تأكسد :

ـ لذا فهى صادقة ، ملينة بالعبق الإنسانى الذى يستشعره القارئ من السطر الأول ..

ـ ليس لهذه الدرجة ..

قالها المخرج الذى كان يكره الجميع فى صمت ، ليؤكد كراهيته بالكلمات !

التفت الجميع نحوه وفى أعينهم تساؤل ، أجاب عليه بقوله :

ـ .. الدراما بها بعض السقطات الفادحة ، والشخصية نفسها فى حاجة لإعادة صياغة ..

وجدتها فرصة مواتية للهو قليلاً :

ـ أتعنى شخصيتى الواقعية أم الدرامية التى تمت كتابتها ؟!

ووجدها هو فرصة لا تقاوم للانقضاض الشرس :

ـ أنا لا أهتم إلا بعملى ، عملى فقط ..

ـ أى عمل ؟! الإخراج التليفزيونى أم السينمائى ؟!

تصورت أنه سينهض ويكيل لى اللكمات ، لكنها ظلت رغبة فى أعماقه الملتهبة لا أكثر ، وفطن (تامر) إلى مسار الأمور الحتمى ، فقرر أن يبذل جهده فى إيجاد مسار بديل :

ـ (نسرين) أيضًا لها مأخذ على الدراما ، فهى ترى أن النهايات قاسية على الأبطال قليلاً ..

ابتسمت (نورا عبود) لتكشف عن بياض أسنانها (حقيقية أم صناعية؟!) وتقول :

ـ بل كثيرًا .. كثيرًا جدًا ..

أثار قولها دهشتى التى ظهرت فى سؤالى لها :

ـ هل هذا هو رأيك أيضًا ؟!

تبرعت (شهد) بالإجابة :

ـ عندما تدور الأحداث حول فتاة لا يوجد فى حياتها إلا أبوها وخطيبها ورجل غامض آخر ، وتنتهى هذه الأحداث بنهاية الجميع فى مصائر بشعة ، فماذا يمكن أن يكون رأى أى أحد ؟!

وأكملت (نورا عبود) وهى تعد على أصابع يدها ، كأنها تتذكر وتذكّرنى معها :

ـ الأب يقضى نحبه فى حادث سيارة ، الخطيب يموت قتيلاً فى كمين ليلى للقبض على قاتل هارب ، والسيد (س) نفسه ينتحر ..

ثم إنها استدارت نحوى سائلة والنشوة محفورة فى تجاعيد وجهها :

ـ .. هل شاهدتِ (عودة الابن الضال) ؟! النهاية مأساوية شبيهة بنهاية هذا الفيلم العبقرى ..

لم أشاهده ، ولا أحب مشاهدة أفلام (يوسف شاهين) لأسباب أقلها أننى لا أفهمها ، لكنى لم أقل هذا حتى لا أتهم بالجهل ، كما يحدث دومًا عندما أصرح بهذه الحقيقة ..

قلت للسيدة (نورا) وأنا أرمقها فى اهتمام :

ـ الغريب يا سيدتى هو إقدامك على إنتاج فيلم بهذه المواصفات ، مع الوضع فى الاعتبار أن مزاج الجمهور لدينا يميل إلى النهايات السعيدة ..

هتف (تامر) فى حماس مباغت :

ـ حان الوقت لنكسر بعض القواعد ، ولنضع اعتبارًا للفن الجيد قبل مزاج الجمهور ..

وقال المخرج مشيحًا بيده فى تعال :

ـ ليذهب الجمهور إلى الجحيم !

قاومت لتجاهله ، حتى لا أتحفه بأحد ردودى المشاكسة مما قد يفسد الليلة تمامًا ، فإن الصمت فيما بيننا ، إلا من حركة ماء حوض السباحة المجاور والموسيقى الناعمة البعيدة ، وهمهمات الحاضرين المتناثرين فى حديقة القصر ، وعندما وضع خادم كوبًا يحوى سائلاً أحمر كالدم أمامى قررت ـ بينى وبين نفسى ـ ألا أمد إليه يدًا وقلت محاولة أن أبدو متعاونة :

ـ هل يمكننى أن أساهم بأى شىء فى هذه المرحلة من العمل ؟!

كشفت السيدة (نورا) عن أسنانها بابتسامة قالت من خلالها :

ـ بالطبع .. سوف تكونين خير مرجع لنا خلال التصوير ..

زمجر المخرج فى خفوت لم يلتفت إليه أحد ، بينما أشار أخوه إلى السيدة (نورا) قائلاً :

ـ السيدة (نورا) مثلاً سوف تقوم بدور رئيسة تحرير الجريدة ، التى حورنا اسمها قليلاً إلى (عفت) بدلاً من (ألفت) ، يمكنك أن تعطيها مفاتيح أداء الشخصية ، طريقتها فى السير مثلا أو فى الحديث أو فى قراءة الموضوعات وخلافه ، بل ويمكن أن تحددى لها موعدًا معها حتى تتوحد مع شخصيتها تمامًا ..

ـ أستطيع فعل هذا ، ولكن ..

ـ سأجتهد قدر استطاعتى ..

والتفت إلى (تامر) مردفة بنبرة داكنة :

ـ بالنسبة لدور خطيبى لن يمكننى أن أدبر لك موعدًا معه للأسف ..

ابتسامة واسعة جدًا ..

ـ هل تظنين أننى سوف أؤدى دور خطيبك يا (نسرين) ؟!

استغراب !!

ـ من إذن ؟!

ابتسامة واسعة جدًا جدًا ..

ـ .. لا يوجد إلا دور واحد فى هذا السيناريو يصلح لى ..

ابتسامة واسعة جدًا جدًا جدًا ..

وصمت ..

إذن ، فقد اختار (تامر) ـ بذكاء أشهد له به ـ أقصر الأدوار المكتوبة فى السيناريو وأصعبها فى الوقت نفسه ..

لقد اختار دوره ..

ـ .. دور السيد (س) ..

هززت رأسى قائلة :

ـ اختيار ذكى ..

مال (تامر) نحوى هامسًا :

ـ هل تشاجر معك خطيبك بسبب رؤيته لك معى بالأمس ؟!

قلت بنبرة صوتى التى لم تنخفض إلى حد الهمس ، ولم ترتفع إلى حد الهتاف :

ـ كلا ..

ثم إنى ـ وبحركة لا إرادية ـ داعبت خاتم الخطوبة فى بنصر يدى اليمنى ، لأغمغم بلهجة سوداء آتية من قلب الكراهية :

ـ ليس بعد ..

.. لتتداخل مع غمغمتى الموسيقى ورائحة طعام وهمهمات الحضور ..

* * *

هتف بى (هشام) وقد احمر وجهه من فرط الانفعال ، حتى أضحى كحبة الطماطم الناضجة :

ـ ماذا تقولين يا (نسرين) ؟! هل جننت ؟!

قلت فى برود ، وأنا أنهض من جلستى أمام مكتبه :

ـ أخفض من صوتك قليلاً ، إننا فى مقر عملك الرسمى إن لم تكن ناسيًا ..

قفز من خلف مكتبه كالملسوع ، وسارع بالاستدارة حوله ؛ ليقف قبالتى حتى يمنعنى من مغادرة الغرفة ، هاتفًا كأنه لم يسمع ما قلت ، أو كأننى لم أقل شيئًا من الأصل :

ـ لا أصدق أننى قد سمعت منك ما سمعت ..

قلت فى حزم :

ـ صدق هذا إذن ..

وبحركة سريعة قاطعة ـ لا أعلم كيف أو من أين واتتنى الجرأة ـ خلعت خاتم الخطبة الذهبى من بنصرى الأيمن ، ومددت يدى لأفرد كف (هشام) الذى بوغت فتجمد ، ودون تفكير وضعت الخاتم على راحته ، وأغلقت أصابعه عليه ..

ثم الصمت ..

النظرات الذاهلة من جهته ، والنظرات المتحدية من جهتى ..

غمغم (هشام) مبهوتًا عندما واتته القدرة أخيرًا ، وهو يفرد أصابعه ليحدق فى الخاتم :

ـ ما هذا يا (نسرين) ؟!

قلت واضعة يدى فى خصرى :

ـ كما ترى ، وكما سمعت ..

ثم إننى أعدت عليه ما قلته منذ برهة :

ـ .. إننى أحلك من أى ارتباط رسمى بيننا ، وأفسخ خطبتنا ؛ لأننى أرفض الزواج بك ..

خُيِّل إلى أن دموعًا تترقرق فى مقلتيه وهو يهمس :

ـ لكن ، لماذا ؟!

لم أكن مستعدة للتعاطف معه مهما حدث ومهما فعل ، لذا فقد أشحت بوجهى عنه مغمغمة بدورى ، وأنا أحرص على أن أكسو نبرتى بطبقة سميكة من الجليد :

ـ كل شىء قسمة ونصيب ، إننا لا نصلح لبعضنا يا (هشام) ..

هتف فى استجداء :

ـ لو كانت رؤيتك لى مع (ماهيتاب) هى السبب فيمكننى أن أفسـ ...

وقاطعته فى جفاء :

ـ دعنا لا نتحدث فى هذا الأمر بالذات ، أتمنى لك السعادة مع من ستختارها بعدى أيًا كانت ..

ـ لكن ...

لم أدع له فرصة ليكمل ، وأشرت إلى الأوراق المغلفة حلزونيًا فوق مكتبه قائلة :

ـ لا أظنك تحتاج إلى هذا الآن ..

إنه السيناريو ، كنت قد أحضرته له بالأمس ليلقى عليه نظرة ..

نظر (هشام) إلىّ مليًا قبل أن يستوعب السؤال ويجيب :

ـ لم أقرأه بعد ..

حملته على ذراعى وأنا أقول بلهجة عملية :

ـ لم تكلف نفسك عناء قراءته لضيق الوقت ، هذا مفهوم قطعًا .. لن تحتاج الآن إلى أن تفعل ما لا تحب ، ويمكنك أن تقضى أوقاتك كيفما تشاء ..

اقترب (هشام) منى وهو يحاول النظر فى عينى مباشرة ، غير أنى لم أمنحه الفرصة فقال :

ـ من فضلك يا (نسرين) لا تكونى بهذه القسوة .. دعينا نتكلم ..

قلت وأنا أتظاهر بالانشغال فى تقليب أوراق السيناريو :

ـ لا مجال للكلام ، فكل شىء قد انتهى فعليًا .. بالنسبة لهداياك ورسائلك فسوف أرسلها لك فى أقرب فرصة ..

اتسعت عيناه وهو يهتف بى قابضًا على الخاتم كأنه سيسحقه بين أصابعه :

ـ (نسرين) .. هل أنت جادة ؟! لا يمكن أن تكونى جادة ..

نظرت فى عينيه أخيرًا لأقول فى انفعال مكبوت :

ـ بل أنا الجدية نفسها أيها الخائن !

ولم أعطه فرصة الرد ، فقد اندفعت مغادرة مكتبه ، وقد تحرر بنصرى من قيد الخطوبة الحريرى ، تاركة إياه فى الداخل يحاول جمع شتات نفسه ..

هذا أفضل ، وليهنأ (هشام) بحياته بدونى ، ولأهنأ أنا بحياتى دون خيانة أو توتر ..

هذا أفضل قطعًا ..

هبطت درجات مبنى المباحث الأمامية ، ورفعت عينى لألقى نظرة أخيرة على النافذة ذات الزجاج العاكس الخاصة بغرفة (هشام) ..

هل يقف الآن وينظر نحوى بدوره ؟!

لن أعرف أبدًا ..

بل لا أريد أن أعرف ..

اتجهت من فورى إلى كشك تصوير المستندات الموجود لخدمة المواطنين ، وأعطيت السيناريو للشاب الواقف هناك قائلة :

ـ ثلاث نسخ من فضلك ..

تناول الشاب السيناريو من يدى ، وبدأ فى تصويره على الفور ، بينما وقفت أنا أدق الأرض بقدمى فى إيقاع مميز ، والقشعريرة تضربنى كالصاعقة بين لحظة وأخرى ..

ورغمًا عنى وجدت صورتها تكبر أمام ناظرى لتملأ المدى كله ..

صورة (ماهيتاب) ..

اللعينة !

★ ★ ★

ـ ماذا ؟! انفصلتما ؟!

هتفت بها (رحاب) صديقتى فى ذعر ، فهززت رأسى لها أن نعم ، وأخذت رشفة من كوب المياه الغازية قليلة السعرات أمامى ، بينما سألتنى (مروة) صديقتى المحجبة الجالسة بجوارها ، بأسلوبها الهادئ الرزين :

ـ أنت و(هشام) انفصلتما يا (نسرين) ؟!

قلت لهما محاولة أن أبدو لا مبالية :

ـ نعم ، انفصلنا .. إنها أشياء تحدث يا بنات !

رفعت (شيماء رويتر) صديقتى الثالثة البدينة ، التى تجلس معنا فى مقهى (بينوز) بالزمالك ، يدى اليمنى لتتفحصها ، ثم إنها رفعت رأسها مخاطبة (رحاب) و(مروة) فى دهشة :

ـ لقد خلعت خاتم الخطوبة بالفعل ..

قالت (رحاب) فى استبعاد :

ـ لعلك تريدين أن تقنعينا بهذا فحسب ..

لكن (مروة) لمحت نظرة عميقة منكسرة فى عينى ، فسألتنى بروح أم أكثر منها صديقة :

ـ متى حدث هذا يا (نسرين) ؟!

تنهدت ، ولم أنجح فى مداراة تأثرى ، وأنا أقول :

ـ بالأمس ..

هتفت (شيماء رويتر) بفضول :

ـ الأهم هو : لماذا ؟!

لم يشف غليلها بالطبع قولى :

ـ كما قلت لكنّ ، إنها أشياء تحدث ..

هتفت (رحاب) بدورها :

ـ كنتما على أعتاب الزواج !

قلت آخذة رشفة أخرى من المياه الغازية منخفضة السعرات :

ـ دعونا نغير الموضوع .. لنتحدث عن هذا ..

ورفعت كيسًا كبيرًا من النايلون أحضرته معى ، يحوى ثلاث نسخ مغلفة حلزونيًا من أوراق كثيرة ، أخرجتها ووضعتها فوق الطاولة أمامنا ..

ـ ما هذا ؟!

سألت (شيماء) عابسة وهى تنظر إلى ، فأجبتها :

ـ سيناريو فيلم سينمائى ..

أمسكت (رحاب) بإحدى النسخ سائلة :

ـ هل تنوين ترك الصحافة والاتجاه للكتابة السينمائية ؟!

قلت وأنا أغتصب بسمة :

ـ كلا ، الموضوع أكبر من هذا بكثير ..

نظر ثلاثتهن إلىّ فى تساؤل ، فاتسعت بسمتى المغتصبة أكثر وأنا أقول :

ـ .. كل ما أريده منكن هو أن تقرأن هذا السيناريو ، وأن نجتمع مرة أخرى لأعرف رأى كل منكن فيه ..

كما هو واضح ، كنت أريد استعراض الأمر بين صديقاتى ، فلن يتم إنتاج فيلم مأخوذ عن قصتى كل يوم ، والانتظار إلى أن يصبح السيناريو شريطًا مصورًا جاهزًا للعرض يبدو طويلا ، وربما غير مضمون إلى هذا الحد ..

سألتنى (شيماء) وهى تشير إلى الغلاف :

ـ هل (تامر فوزى) صاحب القصة هو زميلنا السابق فى الكلية ؟!

ـ نعم ..

قالت (رحاب) ملوحة بسبابتها :

ـ خذى الحذر منه يا (نسرين) ، فرغم أنه يبدو شخصًا عاديًا ، إلا أنه ليس كذلك على الإطلاق ..

سألتها فى عبوس :

ـ ماذا تقصدين ؟! لقد كنا جميعًا نعامله كزميل عادى أيام الدراسة ..

ـ نعم ، ولكن ...

قاطعتها (رحاب) ولم تكمل ، وأشارت إلى (مروة) مواصلة :

ـ .. أخبريها أنتِ يا (مروة) ، أخبريها ماذا كانوا يروون عنه أيامها ..

هزت (مروة) كتفيها وقالت :

ـ لا أحب الخوض فى سيرة أحد ، اعذرننى ..

خاطبت (رحاب) (شيماء) بعدها :

ـ أخبريها أنتِ يا (شيماء) ..

واستفزنى هذا الأسلوب كثيرًا :

ـ توقفن عن القذف بى لبعضكن كأنى كرة ، لتخبرنى إحداكن بالأمر ..

قالت (شيماء) بعد أن تناولت قطعة كبيرة من الكعكة الإنجليزية أمامها ، ليظهر الطعام جليًا فى فمها وهى تلوكه :

ـ لا شىء ، مجرد إشاعة ..

وابتلعت ما فى فمها قبل أن تردف :

- .. يقولون إنه كان مريضًا نفسيًا فى طفولته ، وخضع لعلاج مكثف بعد الجريمة التى ارتكبها ..

انعقد حاجباى أكثر :

- جريمة ؟! أى جريمة ؟!

- يقولون : إنه ..

قالتها (شيماء) ، ثم جرعت كمية كبيرة من عصير الكوكتيل أمامها ، ثم تابعت :

- .. قتل أمه !!

* * *

٤ - نقطة الانفجار ..

الأيام تمر بسرعة ..

لا أعرف كم يومًا مضى حتى جاء موعد لقائنا الجديد فى نفس المكان ، مقهى (بينوز) بالزمالك ، كل ما أعرفه هو أننى لم أستقبل مكالمة تليفونية واحدة طوال هذه المدة ، سواء على هاتف المنزل أو على هاتفى المحمول !

رنَّ الهاتف مرارًا ، لكنى لم أرفع السماعة ، انطلقت أغانى (عبد الحليم حافظ) التى أضعها كرنات لهاتفى المحمول فى إلحاح ، دون أن أضغط زر قبول أى مكالمة ، حتى عندما كانت تظهر على الشاشة أرقام أخرى تختلف عن أرقام هواتف (هشام) المعروفة لم أرد ، حتى لا أقع فى أحد فخاخه : الاتصال بى من رقم مختلف ..

وأنا أعرف أنه سيفعلها ..

لن يهدأ له بال حتى يقتنص مكالمة منى ، يضمنها أقصى اعتذاراته واستعداداته لتقديم كل التنازلات الممكنة وغير الممكنة من أجل الصلح ، لكن موقفى هذه المرة أعمى ؛ مفقوء العينين كما كان حبى له ..

هذا فراق بيني وبينه ، وليهنأ بالحسناء التى دعاها للغداء ، أو ربما هى التى دعته ، أو لعل كل منهما قد دفع الحساب لنفسه على الطريقة الغربية ، ولتهنأ هى به ، فالمثل الشعبى يقول : (اللى تاخده القرعة تاخده أم الشعور) ، ورغم ما يحويه المثل من إهانة ضمنية لى باعتبارى الصلعاء إلا أننى ...

تبًا ، لا أريد التفكير فى الأمر من الأساس ..

نعم ، أريد شطب سنوات كاملة من عمرى بجرة قلم ، وسأفعلها !

ربما اتصل بى الكثير من الأصدقاء فى هذه الآونة ولم أرد ، لا يهم ، إنها فرصة مثالية للابتعاد عن زحام الحياة قليلاً ، والبدء فى قراءة عمل أدبى ضخم من نوع (المسيح يصلب من جديد) مثلاً ، مع كوب النسكافيه الخالد ونبرات (عبد الحليم) الجريحة مثلى فى الخلفية :

تخونوه وعمره ما خانكم ولا اشتكى منكم

تبيعوه وعمره ما باعكم ولا انشغل عنكم

قلبى .. قلبى ليه تخونوه ؟!

أذهب من آن لآخر إلى العمل بلا شهية ، وأعلم أن (هشام) لن يقابلنى فى الطريق ، إنه متأكد أن جنونى قد يدفعنى للصراخ فى منتصف الشارع أو فى مقر العمل نفسه ، صحيح أن موقفه كضابط شرطة لن يعرضه للشتائم وسيحميه من قبضات العامة والزملاء ، لكنه على الأقل سينال فضيحة معاكسة أو تحرش ربما تهز من مركزه وصورته كرجل أمن ، أى أن ما يحميه هو نفسه ما يمنعه من المحاولة ..

بالنسبة لأبى فأعتقد أن خبر انفصالنا لم يبلغه بعد ، بمعنى أن (هشام) لم يجأر له بالشكوى ، أما أنا فقد قررت أن أبعده عن مشاكل حياتى الخاصة ، ففى عمله ما يكفيه ويزيد ، لذا فمن جهتى لم أقص عليه ما حدث ، ومن جهته لم يلاحظ أن خاتم الخطوبة قد فارق بنصرى الأيمن لسبب بسيط ، هو أنه غير موجود فى المنزل منذ يوم القرار الكبير ..

كلا بالطبع ، ليس معنى أننى لم أخبر أبى أننى أحاول الحفاظ على خط رجعة لنفسى ، معجون الأسنان لا يعود إلى الأنبوب أبدًا بعد أن تضغط عليها بقوة ، الحكاية أنه مسافر منذ أيام إلى (شرم الشيخ) لحضور

مؤتمر طبى ، وبمجرد عودته سأخبره بكل شىء ؛ لأثبت لكم أننى لا أتلكأ ، وربما لأثبت لنفسى أيضًا ..

أما عن (تامر) وفريق العمل فى فيلم قصة حياتى فلم أتصل بهم مجددًا ، عندما يريدوننى سيعرفون كيف يعثرون علىّ ، الاتصال الهاتفى ليس هو الطريقة الوحيدة فى العالم لكى تطلب من شخص ما المساعدة ، هذا إن كانوا يحتاجونها منى بالفعل ، ولم يكن الأمر مجرد مجاملة يوم الحفل إياه ..

هكذا مضت الحياة طوال الأيام التالية إذن ، من العمل إلى المنزل ، ومن النوم إلى التأمل ، ومن الهروب من رنين الهاتف إلى الفرار من ذكرياتى مع (هشام) ، ومن القراءة إلى صوت (عبد الحليم) مرة أخرى فى اللحن الجبار :

كان بيقوللى أحبك .. أيوه كان بيقول

وأنا من لهفة قلبى صدقته على طول

كنت أشوف وأسمع وأحس بقلبه هو

كنت عايش مش عشانى عشانه هو

كنت أطالع فى شرفة المنزل ألبوم ذكرياتى الضخم مع (هشام) ، صور يوم قراءة الفاتحة ثم الخطوبة والشبكة وفى مناسبات أخرى متفرقة ، وأفكر فى أن أقلد أى فتاة تحترم نفسها ، لا أعنى إحراق الصور أو تمزيقها ، بل أعنى الاحتفاظ بها مع الاكتفاء بقص صور (هشام) منها ، لأبقى وحدى أبتسم وأضحك لعدسات الكاميرا واضعة يدى فى يد الهواء !

أتصاف صور تحمل أتصاف ذكريات ، ازدواجية أخرى تحكم حياتنا ولا نفر منها ، إن الفكرة تنطبق أيضًا على الصورة الضخمة المؤطرة لنا معًا فى صدر صالة منزلى ، كان تفكيرى جديًا إلى أقصى حد ـ أو أن هذا ما تصورته لأثبت لنفسى أننى حقًا أعنى ما فعلت ـ عندما أتتنى رسالة قصيرة أخرى على الهاتف المحمول ..

هى من (هشام) بالتأكيد يرجونى فيها أن أرد عليه أو أسامحه ، أو على الأقل أمنحه فرصة الدفاع عن النفس قبل إصدار الحكم ، عشرات الرسائل أرسلها فى الأيام الماضية وكان مصيرها (مسح) على الفور ، لكنى كنت أمنح فرصة قراءتها فى بعض الأحيان ، مثل هذه المرة ..

مهلا ، إنها ليست من (هشام) ، إنها من ...

> حاولت الاتصال بك أكثر من مئة مرة وأنت لا تردين ، سنلتقى اليوم فى (بينوز) الزمالك الساعة الثامنة وسوف ننتظرك شيماء

(شيماء رويتر) ..

نظرت فى ساعة يدى ، إنها السادسة مساء ، لا بأس من الذهاب فأنا أحترق شوقًا لمعرفة رأى كل منهن فى السيناريو ، وكنت أترفع طبعًا عن الاتصال بأى منهن حتى لا تظن أننى متلهفة أو منبهرة بموضوع الفيلم ، رغم عدم إنكارى لذلك بينى وبين نفسى فقط ..

هكذا بدأت الاستعداد عندما رن جرس الباب فجأة ..

ـ من ؟!

هتفت من وراء الباب المغلق تبعًا للعادة المصرية المتأصلة فى الوجدان رغم اختراع العين السحرية ، وأنا أتساءل بينى وبين نفسى إن كان (هشام) قد قرر المجىء إلى هنا بقدميه ، حتى يشفى غليلى بالفضيحة المنتظرة ..

سأصرخ فيجتمع سكان البناية ، سيظنون الظنون بهذا الذى جاء يطرق باب فتاة وحيدة ، ربما أشعلت نيران نخوتهم أكثر بصراخى عن لص يرتدى ملابس الضباط ، وضعت عشرات التصورات ليجئ الصوت من وراء الباب المغلق مخيبًا ظنونى للأسف :

ـ أنا (خضر) ، يا ست (نسرين) !

العم (خضر) بواب عمارتنا الصعيدى المتأنق ، الذى يتقمص دورًا أكبر منه بكثير ..

هتفت وأنا لا أزال وراء الباب المغلق :

ـ ماذا هناك يا عم (خضر) ؟!

هتف وهو لا يزال وراء الباب المغلق :

ـ أحدهم أتى وترك لك ورقة يا ست (نسرين) !

إنه هو بالتأكيد ..

لقد فعلها من قبل ، وعن السيد (س) أتحدث بالطبع ..

فتحت الباب على الفور ودون أن أنظر إلى وجه العم (خضر) أو عمامته الحريرية أو جلبابه الأزرق النظيف ، اختطفت الورقة من بين أصابعه وأغلقت الباب فى وجهه الذاهل دون أن أنبس بكلمة !

الورقة فى يدى وأنا أنظر إليها لاهثة ..

لو أن السيد (س) يريد مصالحتى على (هشام) فسوف تكون المرة الأولى التى لا أصغى فيها إلى ما يقول ، غير أنها لم تكن منه ..

إنها ورقة من (استديو مصر) تعلن عن بدء تصوير فيلم (الغامض) غدًا صباحًا ، وأنه يشرف فريق العمل حضورى كضيفة شرف ..

الأمر أشبه بأمر التصوير ، أو الـ(أوردر) ، الذى يقوم شخص متخصص يسمى (الريجيسير) بتوزيعه على منازل الفنانين الذين يعملون فى مشاهد التصوير الخاصة بهم قبلها بفترة زمنية قصيرة ، وبالتأكيد هو من أتى الآن ليسلم عم (خضر) هذه الورقة ..

لا بأس أن أطلب رقم (تامر) عبر هاتفى المحمول ، إننى حرة الآن ويمكننى أن أفعل ما أريد دون أن أخشى لومة لائم أو غضبة غاضب ، وعلى الفور أتانى هتاف (تامر) عبر الأثير :

ـ يا إلهى ، كدت أشك أن الفيلم قد تحول إلى واقع !

سألته مقطبة وقد استغلق على فهم ما يعنيه :

ـ ماذا تقصد ؟!

قال (تامر) فى هستيريا جعلت الفلران تلهو فى صدرى :

ـ أمزح فقط .. أعنى أننى هاتفتك مئات المرات لكى أخبرك أن التصوير غدًا ، حتى أننى ظننت أن مكروهًا قد أصابك أو أصاب عزيزًا عليك ..

قلبت الورقة فى يدى وأنا أقول ماطة شفتى دونما سبب :

ـ وصلتنى ورقة الدعوة الآن ..

قال (تامر) :

ـ ستأتين إذن ، إننى أتابعهم وهم يضعون اللمسات النهائية على ديكور منزل البطلة الآن ..

منزلى !

ـ سأحاول التواجد ..

ـ يجب عليك أن تكونى هناك ، المفترض أنها لحظات تاريخية فى حياتك ..

ـ قد تكون كذلك بالفعل ..

ـ اتفقنا إذن ..

ـ سأكون هناك يا عزيزى ..

وأغلقت السماعة بينما يعترينى شعور غريب بالزهد فى التواجد هناك غدًا ، أو لعلها عادتى المزعجة بالسمو فوق مستوى الأحداث تطاردنى مجددًا ..

الآن يجب أن أهاتف أبى لأطمئن عليه أولا ، ولأستأذنه فى النزول لمقابلة صاحباتى ثانيًا ، فليس معنى انه فى (شرم الشيخ) أن أدخل المنزل وأخرج منه كيفما شئت ، ودون علمه !

بمجرد أن رد على هاتفه المحمول هتفت فيه وأنا أضحك ، مقلدة ممثلات المسلسلات التاريخية بأسلوبهن المبالغ فيه :

ـ أبتاه ..

ضحك بدوره قائلاً :

ـ من الهاتف الداعى ؟!

ـ أما زلت فى (شرم الشيخ) ؟!

ـ عند بوابة المغادرة فى المطار ، سأستقل الطائرة وأكون فى (القاهرة) فى غضون ساعة على الأكثر ..

ـ رائع ، هل ستأتى إلى المنزل ؟!

ـ بل سأعرج على المستشفى أولا ، لكنى أعدك بأن نلتقى فى المنزل على مائدة العشاء ..

ـ لدى موعد مع صديقاتى وسأحرص على أن أكون موجودة قبل عودتك ..

ثم عنت لى الفكرة :

ـ .. إن سيارتك معى ، يمكننى أن أمر عليك فى المستشفى لو أحببت ..

ـ لا داعى ، سأستقل سيارة أجرة أو أتطفل على أحد الأطباء العائدين إلى منازلهم ..

ـ عندما ينتهى أحد أيامك بالعودة إلى المنزل أشعر لحظتها أنك أبى حقًا !

ـ لا بأس ، هذا أفضل من لا شىء على كل حال ..

تبادلنا الضحكات ، وانتهى الحوار بيننا بالشوق الحارق لرؤية هذا الرجل ..

الرجل الغائب فى حضوره والحاضر فى غيابه ..

* * *

ـ كم أتمنى فعلا أن أراه ..

هتفت بها (شيماء رويتر) وفمها ممتلئ بكعكة الجبن اللذيذة ، فأيدتها (رحاب) قائلة فيما يشبه الامتعاض :

ـ أنا أيضًا أتمنى أن أرى الفيلم بعد تصويره ، فلم أفهم الكثير من السيناريو عندما قرأته ..

هززت كتفى وأنا أقول ، محاولة ادعاء التجاهل بالنظر إلى شاشة التلفزيون العالية التى تعرض جزءًا من نشرة أخبار محطة (يورونيوز) :

ـ إنه ليس بهذه الصعوبة ، فهو مكتوب بالطريقة الأمريكية التى تشبه كتابتها السرد الروائى العادى ، ولا يحوى الكثير من المصطلحات التقنية التى تعتمد عليها الطريقة الفرنسية حيث يتم تقسيم الصفحة البيضاء إلى عمودين ، فى اليمين توصف الحركة والصورة المرئية واليسار للحوار والمؤثرات الصوتية ...

قاطعتنى (شيماء) :

ـ لا أتحدث عن أمنيتى لرؤية الفيلم ، رغم إنى أتمنى هذا فعلا ، بل أتحدث عن (تامر فوزى) خصوصًا ، أتمنى أن أراه متقمصًا هذه الشخصية ..

ثم أتبعت كالمسحورة :

ـ .. شخصية السيد (س) .. الغامض ..

هززت كتفى مرة أخرى وأنا أقول :

ـ تصوير الفيلم سيبدأ غدًا فى (استديو مصر) ، وقد وجهوا لى دعوة بالحضور ..

فى انبهار صرخت (شيماء) :

ـ حقًا ؟! غدًا ؟! يا لك من محظوظة .. وهل يمكن أن تصحبينى معك ؟!

ابتسمت فى وقار وقلت :

ـ سأرى إمكانية تحقيق هذا ..

ثم إننى التفت إلى (مروة) فى اللحظة التى دوى فيها صوت أحدث أغنيات (عمرو دياب) عبر موبايل (شيماء رويتر) ، فانتحت الأخيرة به جانبًا ؛ لترد فى حين سألت أنا الأولى :

ـ وما رأيك أنت يا (مروة) ؟! هل قرأته ؟!

هزت (مروة) رأسها المحاط بغطاء الرأس فى هدوء ، وقالت :

ـ بالتأكيد ..

ـ وما رأيك ؟!

ـ مكتوب بغاية وحرفية عالية ، لا آخذ عليه سوى الإغراق فى السوداوية والكآبة بالنسبة للشخصيات ، إنه يحتاج لتنفيذ مكلف ومعجزة سماوية لينجح فى شباك التذاكر ..

تحليل بسيط ، عميق ، ومتزن ..

ـ المكالمة لك يا (نسرين) !

التفت إلى (شيماء رويتر) صاحبة العبارة لأراها تمد يدًا بهاتفها المحمول ، فقطبت سائلة :

ـ مكالمة لى على هاتفك ؟!

هزت (رويتر) رأسها أن نعم :

ـ ألست (نسرين الجبالى) ؟!

قطبت أكثر :

ـ (هشام) ؟!

ملأت شوكتها بقطعة من كعكة الجبن والتهمتها قبل أن تجيب :

ـ لم يقل من ..

فكرت كثيرًا ، وقررت فى النهاية أن آخذ المجازفة هربًا من نظرات (رحاب) و(مروة) على الأقل ، وبحركة لا شعورية داريت يدى اليمنى ، التى كانت (رحاب) تجاهد لرؤية ما إذا كان خاتم الخطوبة قد عاد إليها أم لا ..

ـ آلو ..

قلتها وأنا أتمزق ما بين قرارين ، وفكرتين ، فأتانى صوته الأجش ، الذى يبدو وكأن صاحبه يتعمد تغييره :

ـ مرحبًا يا صغيرتى ..

أصبحت فى هذه الظروف أهتف بلهفة منبعثة من صميم احتراقى :

ـ السيد (س) ؟!

توقفت كعكة الجبن فى حلق (شيماء رويتر) ، وسعلت بشدة بينما احمرت وجنتاها السمينتان إلى حد الزرقة ، فمدت (رحاب) يدها نحوها بكوب ماء ولكمتها فى ظهرها

بقوة ، لتقوى أخيرًا على التقاط نفسها ، كل هذا فى اللحظة الزمنية الفاصلة ما بين هتافى وقوله :

ـ منذ متى لم تأتيى إلى هذا المقهى الأرستقراطى ؟!

قلت ناظرة إلى المقاعد من حولى ، التى حملت فوقها عشرات الشباب والشابات ، كأنى أبحث عن وجهه بينهم :

ـ أعلم أنك تعلم عنى كل شىء ، ما عاد هذا يدهشنى ..

أتانى صوته المتفلسف فى سخرية :

ـ السيد (س) أصبح معتادًا ، والتعود يقتل الدهشة يا صغيرتى ..

قلت ممارسة حقى فى التفلسف :

ـ التعود يقتل الدهشة ، لكنه لا يقتل الغموض ..

ضحكته المعتادة ، أضحت غير مدهشة ربما ..

ولكنها مازالت ـ وستظل ـ غامضة !

ـ بدأتِ تنافسيننى فى الغموض وفى الفلسفة ، أخشى أن يأتى اليوم الذى نتبادل فيه الأدوار ..

ـ أهذا ممكن حقًا ؟!

ـ السؤال الأبدى الخالد ، تذكرينه بالتأكيد ..

تنهدت ..

ـ أجل ..

وغمغمت ..

ـ .. من يدرى ؟!

ثم إنى انتبهت للحقائق التى تتوالى أمام عينىّ :

ـ .. لحظة ، أنت لا تتصل بى إلا لتخبرنى بوقوع جريمة ، أو لتحذرنى من وقوع كارثة ..

ضحك مجددًا :

ـ حقًا ، التعود يقتل الدهشة وربما يدفنها حية !

هتفت بلهفة وأنا أحتضن هاتف (شيماء) الصغير ـــ الذى ما يزال ملتصقًا بأذنى ـ بكلتا يدى :

ـ ماذا هذه المرة ؟!

ـ السيناريو ..

ما زال يعلم كل شىء ..

كل شىء !

ـ ماذا عنه ؟!

تساءلت فى قلق عميق وأنا أنتبه للحقيقة المفزعة : السيناريو يروى قصتى من وجهة نظر سوداء كثقب زمنى !

ـ هناك نسخة أخرى منه ..

صعقت مرددة كالبلهاء :

ـ نسختان ؟!

ـ النسخة الأولى سيتم تصويرها على شريط سليولويد خام ، أما النسخة الأخرى ..

لا ، لا تقلها ..

كدت أصيح فيه لكنه واصل بما لا يدع مجالا للصياح :

ـ .. النسخة الأخرى سيتم أخذ مشاهدها على الطبيعة .. كلاكيت ، مرة واحدة ودون إعادة ..

هتفت ووجهى يمتقع ويمتقع ويمتقع :

ـ وأنت ستقتلنى فى النهاية كما هو مكتوب ؟!

ـ لا ..

كان جادًا إلى حد كاد ينخلع له قلبى ، فعهدى به دائمًا أنه ساخر من كل شىء ..

حتى من الموت نفسه !!

كانت كل خلية فى جسدى ترتعد وأنا أهتف فيه كأم ثكلت فلذة كبدها :

ـ وماذا يمكننى أن أفعل ؟!

ـ أنتِ البطلة ، وعليكِ التصرف كما تتصرف البطلات ..

صرخت حتى أن السيارة التى أجلس أمام مقودها قد ارتجت :

ـ كيف ؟!

توت .. توت .. توت ..

أغلق السماعة ، وأخذ صدرى يعلو ويهبط ، بينما تجمد عقلى عند نقطة واحدة ..

هتفت (شيماء) بى مذهولة :

ـ مستحيل .. هل اتصل السيد (س) على هاتفى المحمول يا (نسرين) ؟!

وحملت هاتفها من يدى ، بينما تجمد عقلى عند نقطة واحدة فقط ..

سألتها (رحاب) فى غباء لا يليق بالموقف الرهيب :

ـ كيف حصل على رقم هاتفك يا (شيماء) ؟! هل تعرفينه ؟!

نقطة واحدة فقط ..

أبى ..

يجب أن ألحق به قبل أن ...

رباه !!

نظرت فى ساعة يدى التى أشارت للتاسعة إلا الربع ، أستطيع أن أكون عند المستشفى فى خلال ربع ساعة مع إسقاط زحام المواصلات من الحسبان ..

سألتنى (مروة) فى قلق :

ـ ماذا هناك يا (نسرين) ؟! جريمة أخرى ؟!

نظرت إليها فى جمود وقد فقدت القدرة على النطق تقريبًا ، فحاولت أن أقول لها بعينى :

أجل يا (مروة) ، إنها جريمة أخرى ..

ضد أبى شخصيًا هذه المرة !!

* * *

ضغطت النفير بأقصى قوتى ، واستدرت بسيارة أبى لتنحشر بين سيارتين على كوبرى ٦ أكتوبر حتى كادت أن تحتك بهما ..

نظر قائدا السيارتين نحوى فى دهشة غاضبة ، لكنى تجاهلت كل شىء وانطلقت فى طريقى بأقصى سرعة ممكنة ..

يجب أن أحاول اللحاق به قبل أن ...

نفضت عن رأسى ذكرى ما جاء فى السيناريو ، ولكن انخلع قلبى للمشهد المريع والذكرى تداهمنى رغمًا عنى ..

قالت السيدة (نورا عبود) :

ـ .. الأب يقضى نحبه فى حادث سيارة !

رباه ، هل يمكن أن يكون هذا حقيقيًا ؟!

وكيف ؟!

ولماذا ؟!

وألف أداة استفهام ..

ضغطت دواسة الوقود بقوة عند منزل الكوبرى ، أصبحت الآن قريبة للغاية من المستشفى ..

الشارع التالى ثم ..

ها هى ذى ، لافتتها تضىء ظلمة الليل مع أعمدة الإنارة على جانبى الشارع الرئيسى الكبير ..

(مستشفى الدكتور فاروق الجبالى لجراحات المخ والأعصاب) ..

أبى ..

كنت قادمة عبر الجهة المقابلة للجهة التى تشرف عليها بوابة المستشفى ..

لم أهتم بأن أوقف السيارة فى الأماكن المخصصة لإيقاف السيارات على جانب ، بل تركت السيارة فى نهر الطريق مكتفية بإشعال أضواء الانتظار ..

هبطت من السيارة ونظرت إلى بوابة المستشفى بسرعة متلهفة ..

ورأيته ..

كان يقف هناك يشير لسيارة أجرة مقتربة ..

- أبى !

هتفت أناديه ، فضاع صوتى فى زحام الطريق ..

يجب أن أعبر الشارع نحوه لأحذره ..

عبرت نصف الطريق بالفعل عندما ...

صوت احتكاك إطارات بالإسفلت فى عنف ..

سيارة ١٢٨ بيضاء تقترب ..

تنعطف فجأة أمام سيارة الأجرة التى أشار إليها أبى ..

ينظر أبى إليها مرتاعًا ..

تتسع عيناه ..

تصدمه السيارة فى قوة ..

يطير فى الهواء ..

يسقط على الإسفلت مضرجًا فى دمه ..

صوت احتكاك إطارات بالإسفلت فى عنف ..

تهرب السيارة الصادمة ..

وأنا أرى كل شىء من وقفتى فى منتصف الشارع ..

يتحلق المارة حول المصاب ..

وأنا ..

أصرخ فى رعب وهلع ، وأبكى فى خوف عميق !

* * *

٥ ـ عين الطائر ..

[مقطع من السيناريو]

• غرفة الدكتور فايق .. فى المستشفى الخاص ـ ليل / داخلى ..

ـ الدكتور فايق الجبلاوى يضع معطفه على مشجب خلف باب غرفته ، ويعدل من وضع النظارة على عينيه ..

ـ ينفتح الباب ويدخل ممرض يبدو عليه كبر السن ..

الممرض ..

كله تمام يا دكتور ، أجيب لك تاكس ؟!

فايق ..

لا استريح انت يا ميلاد .. أنا حانزل أوقف تاكسى بنفسى ، انت تعبت معايا فى العمليات النهاردة ..

الممرض ..

تعبك راحة يا دكتور فايق .. ..

ـ الدكتور فايق .. يربت على كتف ممرضه ..

فايق ..

بيتهيأ لى توقيف تاكسى مش فى صعوبة عملية جراحية فى المخ .. ولا إيه ؟!

ـ كلوز على ميلاد يبتسم دون أن يرد ..

« قطع إلى » .

• الشارع أمام المستشفى ـ ليل / داخلى ..

ـ لقطة متوسطة للدكتور فايق .. الجبلاوى واقف أمام مبنى المستشفى بملابسه الأنيقة وأضواء أعمدة الإنارة تنعكس على زجاج نظارته اللماع ..

ـ بان إلى سيارة أجرة تتقدم من آخر الشارع ..

ـ هناك سيارة أخرى تنطلق بجوار سيارة الأجرة ..

ـ يشير الدكتور فايق .. لسيارة الأجرة حتى تقف ..

ـ سيارة الأجرة تهدىء من سرعتها ، لتقف بالفعل لكن السيارة الأخرى المجاورة لها تميل عليها فجأة ..

ـ « زووم » إن على الدكتور فايق .. ممتقع الوجه ومتسع العينين وهو يرى السيارة تميل نحوه ..

ـ المؤثرات الصوتية مزيج من صراخ المارة وصوت التصادم وضغط الكوابح الشديد مع موسيقى مفزعة تسيطر على شريط الصوت ..

ـ مشهد بطيء slow-motion لسيارة الأجرة وهى تصدم الدكتور فايق .. فيطير جسده فى الهواء ، ويرتطم بمدخل المستشفى الزجاجى ، فيتهشم وسط صراخ من داخل المستشفى وخارجها ..

ـ السيارة الأخرى تولى الفرار مسرعة عبر نهر الطريق غير المزدحم ..

ـ لقطة واسعة تتسع إلى الخارج فى حركة « زووم باك » على الدكتور فايق .. الغارق فى دمه بين الممرضين وجماهير الشارع الذين تحلقوا من حوله ، سيارة الأجرة مقلوبة فى الجوار ..

ـ كلوز على وجه الدكتور فايق .. بلا نظارة وهو يردد بصوت متحشرج اسم ابنته ..

فايق ..

نادين .. نادين !

ـ تسكن حركة يد الدكتور فايق .. تمامًا بجوار نظارته المهشمة التى طارت بفعل التصادم ، مع مؤثر موسيقى حزين ..

ـ إظلام ..

★ ★ ★

دقت الخطوات على أرضية المستشفى الرخامية ، وتوقف صاحبها ناظرًا نحو الفتاة الواقفة أمام بابى غرفة العمليات المغلقين ، معطية ظهرها له وللعالم كله ..

وجهها مطرق فى نظرتها البائسة للأرض ، وجسدها يهتز من البكاء والقشعريرة ..

ـ (نسرين) ..

اقترب منى أكثر ..

ـ .. لم أعلم إلا منذ نصف ساعة فقط بالصدفة المحضة .. لماذا لم تتصلى بى وتخبرينى ؟!

قالها هامسًا بلهجة لم تخل من اللوم ، وعندما مد (هشام) يده ليرفع وجهى نحوه ، كانت الإجابة أوضح من أن تقال ..

عيناى الحمراوان المتورمتان بلا نظارة فوقهما كالمعتاد ، خطوط الماء والملح على وجنتى المحمرتين ، شعرى النافر ، وحشرجتى المكتومة ، ولسانى المختنق ..

كنت أتمزق فى كل لحظة تمر وأبى فى غرفة العمليات ..

أتحطم ..

أموت ..

ضمنى (هشام) إلى صدره فى حنان ، وهمس :

ـ .. لا تفعلى هذا ، سيكون على ما يرام بإذن الله ..

لم أتمالك نفسى وأجهشت بالبكاء ، بينما حاول هو إسكاتى كأنه يُسكت طفلة صغيرة ..

ـ .. هشششش .. لا تفعلى هذا أيتها الفتاة الكبيرة ، أنت فتاة كبيرة ويجب أن تكونى على مستوى الموقف ..

لكن كلماته كانت تزيد بكائى سوءًا ..

وتجعل تأوهاتى المكلومة أعلى ..

أردت أن أقول :

ليس لى سواه فى هذا العالم بعد أن فقدت أمى ..

ليس لى سواه ..

أردت أن أقول أننى لو فقدته الآن كما يقول السيناريو ، فلن أسامح نفسى أبدًا ..

سأكون شريكة فى قتله بطريقة أو بأخرى ، كما كنت شريكة فى قتل والدتى وأنا فى المهد بطريقة أو بأخرى ..

أردت أن أقول الكثير ، لكنى بكيت فقط ..

* * *

عندما انطلق آذان الفجر من منذنة المسجد المجاور للمستشفى ، فتح أبى عينيه أخيرًا ..

وخفق قلبى أخيرًا ..

ـ أبى ..

هتفت بها فى لوعة ، وعيناى تترقرقان بالدمع الذى جفت منابعه من فرط البكاء ، فهى المرة الأولى التى نتبادل فيها الأدوار ، هو مريض على الفراش يفيق من إغماء التخدير ، وأنا بجواره أكاد أتفطر من خوفى عليه ..

ابتسم الرجل فى بهوت ، وغمغم بلسان ثقيل :

ـ صغيرتى .. هل أنتِ بخير ؟!

حتى وهو فى أحلك الظروف يسألنى إن كنت بخير أم ...

تفجرى يا بحار وأنهار الأرض من عينىّ دموعًا إن كنتِ تكفين !

ـ حمدًا لله على سلامتك يا عمى ..

رفع أبى عيناه إلى (هشام) الواقف فى الجوار والإرهاق غول يجثم على عينيه ، والإجهاد يتحدث عبر ملامحه ، وسأل بنفس البسمة الباهتة واللسان الثقيل :

ـ أنت هنا أيضًا يا (هشام) ؟!

ـ لا تجهد نفسك فى التحدث ..

قلتها نيابة عن (هشام) فى لحظة انفتاح الباب ودخول طبيب شاب ، ابتسم لمرأى أستاذه وقد استيقظ بعد ساعات قليلة من العملية ، فهتف بنا :

ـ لقد أفاق الدكتور (فاروق) إذن ، والآن تفضلا بمغادرة الغرفة إن أذنتما لى ..

نهضت متثاقلة ، ووجدت يد أبى تمسك بأصابعى فتسمرت ناظرة إليه ، لأجده يحاول القول :

ـ لا تبتعدى ..

كدت أعاود الجلوس لكن عينى الطبيب الشاب كانتا حاسمتين ، لذا هززت رأسى لأبى قائلة :

ـ سأعود فور أن ينتهى الدكتور من الكشف .. أعدك بذلك ..

أفلت يدى وقد ارتسمت على وجهه ـ الذى يعانى فى إنهاك ـ بسمة شبحية ، بينما اتجهت أنا إلى الخارج و(هشام) من خلفى ..

* * *

ابتسم الطبيب الشاب فور مغادرته غرفة أبى ، قائلاً وهو يتحدث إلىّ فى بساطة :

ـ لا توجد مشاكل كبرى صدقينى ، مجرد كسر بسيط فى عظمة الساق استدعى زرع شريحة وبضعة مسامير ، والبقية رضوض وخدوش لا تذكر فى مناطق مختلفة من الجسم ..

سألته فى شك :

ـ لماذا كان غائبًا عن الوعى إذن ؟!

قال فى بساطة أكثر :

ـ لم يكن كذلك عند دخول غرفة العمليات ، إنه التخدير الكلى لدواعى الجراحة ليس إلا ..

وربّت على كتفى فى تشجيع ، متابعًا :

ـ .. لن يحتاج إلا لعدة أسابيع من العلاج الطبيعى يسترد خلالها عافيته تمامًا ، وهى فرصة ممتازة ؛ ليستريح فيها من متاعب العمل ، رب ضارة نافعة كما يقولون ..

لكنى لم أسمع نصف كلامه ، فقد شردت أنا فى تذكر كل شىء ، بالذات المشهدين إياهما من السيناريو المشئوم ، أما (هشام) فقد كان واقفًا بجوارى مقاومًا رغبة ملحة فى إلقاء جسده على أريكة الانتظار ، ومتثائبًا بينه وبين نفسه حتى لا يبدو وقحًا فى ظروف كهذه ..

إن موقفه معى سيئ بما فيه الكفاية !

وبمجرد أن ابتعد الطبيب الشاب ليرى أشغاله ، استدار (هشام) حولى ؛ ليقف فى مواجهتى قائلاً :

ـ قضيت الساعات الماضية فى قراءة هذا السيناريو ..

قالها (هشام) مشعلا واحدة من سجائره التى عاد إليها بسبب ما حدث بيننا على ما يبدو ، وعلى ألا أظهر أى

اهتمام حتى لو أخرج من جيبه نارجيلة كهربية وشرع فى تدخينها !

لم أنبس ببنت شفة فى استنادى على الحائط المجاور للباب المغلق ، كأنما لم أسمع منه حرفًا واحدًا ، فيما تابع وهو يحك رأسه من الخلف :

ـ .. لا أدعى فهم كل ما جاء فيه ، لكن الفكرة وصلتنى كاملة ..

نظرت إليه ، ونفث هو الدخان متابعًا :

ـ .. هناك من يطبق ما جاء فى هذا السيناريو حرفيًا على ما يبدو ..

لم أستطع منع نفسى من القول فى تهكم مرير :

ـ ليس حرفيًا ، فأنى مازال حيًا بحمد الله وحده ..

يبدو أن ردى عليه قد أسعده ، فهز كتفيه وقال فى تذاكٍ :

ـ لنقل إذن إنه على الأقل يحاول أن يطبق ما جاء فيه ، لكن الظروف لم تساعده ..

ضيقت عينى وأنا أنظر إليه سائلة :

ـ ومن أين حصلت على نسخة منه ؟!

ابتسم فى فخر وهو ينظر إلىّ مجيبًا :

ـ لا تسألى ضابطًا فى المباحث الجنائية مثل هذا السؤال أبدًا ..

ثم إنه نفث دخان السجائر فى حلقات قبل أن يستطرد :

ـ .. بمجرد أن وصلتنى أنباء ما حدث وأنا أدور بين أقسام المباحث وأجمع المعلومات بنفسى ، إن السيارة البيضاء ماركة (نصر ١٢٨) موديل ٨٣ التى تم ارتكاب الجريمة بها تطابق مواصفاتها سيارة تم الإبلاغ عن سرقتها ظهر اليوم فى نطاق المنطقة التى أعمل فيها ، وقد فر بها سارقها ـ الذى لم يستطع أحد من المارة رؤيته من خلال زجاج السيارة العاكس ـ بعد الحادث وتركها فى منطقة مهجورة على الطريق الدائرى ، ليتم العثور عليها منذ ساعتين تقريبًا بدون لوحة أرقام معدنية طبعًا ..

قلت فى مرارة تهكمية :

ـ شرطى محنك ..

تجاهل ما تحمله نبرتى من مشاعر وحك قفاه قائلاً :

ـ بعدها فوجئت بنسخة من السيناريو تصلنى بالبريد المسجل

على عنوان مكتبى ، لا أعتقد أنك أنتِ من أرسلها لى ، ويجمع رجال المعمل الجنائى الآن ما تيسر من المعلومات بتحليل الأختام البريدية ونوع الورق المصوّر عليه وطريقة التجليد فربما يقودنا هذا إلى طريق نمشى فيه ، وبعد أن قرأت السيناريو أرسلت مذكرة إلى النيابة لتستعين بأحداثه فى تفسير الحادث إذ إن التطابق بينهما مريب حقًا ، وسأحاول إقناع النيابة باستجواب كل من مر هذا السيناريو تحت يده ، أعنى المؤلف والمخرج والمنتجة إلى آخره ..

فوجئ ـ على ما يبدو ـ بنظرة التحدى فى عينى وأنا أقول :

ـ اترك هذه المهمة لى ..

صاح (هشام) فى استنكار :

ـ ماذا تقولين ؟!

ثم ألان لهجته قليلاً وهو يحاول الخوض فى الموضوع الذى لا يناسبه الوقت على الإطلاق :

ـ .. (نسرين) ، إنها فرصتى الأولى للحديث معك بشأن ما حدث ، إننى ...

قاطعته فى هدوء :

ـ دعك من هذه التفاهات واهتم بأمر نفسك ..

قطب متسائلا :

ـ ماذا تقصدين ؟!

ـ حسبما يقول السيناريو ..

وأشرت إليه فى ثبات مكملة :

ـ .. أنت التالى ..

.. وكادت السيجارة تسقط من بين إصبعى (هشام) ، أو تحرقهما !

* * *

فى تمام العاشرة صباحًا أوقفت سيارة أبى أمام بوابة (استديو مصر) ، ولما أشهرت ورقة الدعوة فى وجه رجل الأمن منحنى ابتسامة ، فدخلت بسيارتى مثبتة على وجهى ملامحى الجامدة التى لا تحمل أدنى تعبير؛ عبر مصراعى البوابة الضخمة الشاهقة الارتفاع ..

إن اليوم حافل أمامى بكثير من دوائر البحث عن المتاعب ..

متاعب من النوع الثقيل ..

هبطت من السيارة وبعد توجيه بضعة أسئلة لبعض العاملين عرفت أخيرًا موقع تصوير الفيلم الجديد ، وفى غضون دقائق كنت هناك ..

كان الزحام هائلا ، عشرات من عمال الديكور والإضاءة والصوت والمصورين ، وفى صدر البلاتوه ينتصب الديكور الأساسى لما يفترض أنه غرفة نوم البطلة ، غرفة نومى ، سرير بسيط ودولاب وصورة عملاقة معلقة على الحائط لـ (شهد) مرتدية نظارة طبية وملابس قريبة الشبه بملابسى ..

ليس ديكور غرفة نومى منمقًا ومفتعلا إلى هذا الحد الزائف ، كما أننى لا أملك صورة كهذه فى غرفتى بالمناسبة ، ولا أريد ، فهو احتفاء زائد بالنفس لا أحبه ..

مرآتى تكفينى ، وما أراه فيها يوميًا غير مشجع على شىء كهذا بالمرة ..

السقف تتدلى منه مصابيح الإضاءة العملاقة وميكروفونات الصوت الحساسة ، عواكس الإضاءة البيضاء تنتشر هنا وهناك حسب خطة مدير التصوير ، الكاميرا الوحيدة مثبتة على حامل معدنى عالٍ ؛ لتلتقط صورة الحجرة من نظرة عين الطائر الشهيرة ..

بحثت فى الزحام عنه ، أو عنها ، لكنى لم أجد أيهما ..

(تامر) أو (شهد) ..

ملت على أحد العاملين سائلة :

- أين الأستاذ (تامر فوزى) من فضلك ؟!

صاح دون أن ينظر نحوى :

- انتظر حتى لا تحطم (الباتوه) !

وتركنى مهرولاً إلى جهة ما ..

ضائعة فى زحام يوم التصوير الأول ، لكنّ علىّ أن أجده ، أو أجدها بأى طريقة كانت ..

سرت إلى خلف الديكور المنتصب أمامى ، واكتشفت أن الحوائط التى تمثل جدران غرفة نومى المفترضة ليست إلا قوائم من خشب ، سيتم الاستغناء عنها فور انتهاء التصوير بالتأكيد ..

قلت لنفسى : إن علىّ تركيز تفكيرى فى هدفى والابتعاد عن هذه الخواطر الخرقاء ..

سرت فى حذر بطىء ، وفى زاوية لمحت الباب الذى علقت عليه

لافتة (ممنوع الدخول لغير العاملين فى الاستديو) ، فدخلت ..

يفضى الباب إلى ممر ، على جانبيه أبواب كثيرة مغلقة ، تنتظر من يفتحها بالتأكيد ..

على الفور فتحت الباب الأول ، أقرب الأبواب إلىّ ، لأجد نفسى أمامها ..

أو أمامى !!

(.. عندما ترينى فى البلاتوه لن تعرفينى ، ستظنيننى أنتِ ..) !

الآن فقط أشعر كأنى أنظر فى مرآة يا عزيزتى (شهد) ..

كانت هذه غرفتها الخاصة ، مزودة بخوان صغير ومرآة تتناثر أمامها أدوات (الماكياج) التى يستخدمها (ماكيير) محترف نجح فى تحويلها إلى نسخة بالكربون منى ..

ابتسمت (شهد) ، وسألتنى فى حبور :

- (نسرين) .. لقد أتيت مبكرة .. ما رأيك ؟!

دخلت متجمدة وأغلقت باب غرفتها خلفى ، ثم تقدمت نحوها فى بطء صارم وصمت حجرى ..

بدا من ملامحها أنها استغربت موقفى لأول وهلة لكنها غالبت هذا الشعور بسرعة وعادت تسألنى :

ـ .. هل تعتقدين أنى أشبهك حقًا ؟!

صمتى وجمودى المتحجر جعلاها تسألنى مقطبة :

ـ .. (نسرين) .. ما بك ؟! هل أنت على ما يرام ؟!

سألتها بآلية تليق بأحد مخلوقات (إسحق عظيموف) المعدنية :

ـ أين كنتِ ليلة أمس فى التاسعة مساء ؟!

ازداد انعقاد حاجبيها وهى تسأل بغير فهم :

ـ ماذا ؟!

صرامتى لم يكن لها حدود :

ـ أجيبينى من فضلك ..

ارتبكتْ (شهد) ، ولم يكن هذا فى صالحها أبدًا مع الوضع فى الاعتبار الحالة المزرية التى كنت أمر بها لحظتها ..

مأساة أبى وسهرى طوال الليل بين توتر وبكاء ، ثم الرغبة الحارقة فى معرفة الفاعل ..

ارتبكت (شهد) ، وحاولت أن تقول فى تلعثم :

ـ إن .. أعنى .. هل .. هل قابلتِ (تامر) قبل مجيئك إلى هنا ؟!

وحاولت أن تتجاوزنى فى مساحة الغرفة الضيقة حتى تنادى على :

ـ .. (تامر ...

.. غير أن أصابعى التى لحاظت بذراعها فى صلابة أسكتتها على الفور ، وجعلتها تنظر إلى عينى الصلدتين ، نظرات يكسوها خوف عميق ..

لم أكن مستعدة لتضييع وقتى فى مهاترات ، الجميع مدانون أمامى حتى يثبت العكس ، ولتذهب كل القوانين الأخرى إلى جحيم الحمقى بلا رجعة ..

ـ (شهد) هل أنت جاهزة ؟!

ابتلع (تامر فوزى) بملابسه الغريبة وقُبّعَة راعى البقر الأمريكية ـ ربما أراد أن يتعايش بها مع شخصية الرجل الغامض ـ بقية سؤاله بعد أن اندفع فاتحًا باب الغرفة ، ثم إنه غمغم ناظرًا إلينا فى استغراب عابس :

ـ .. أنتِ هنا يا (نسرين) ؟!

سألنى ، وقد تلقى إشارات (شهد) ونظراتها المستنجدة على الفور ، ثم إنه نظر نحوى ليشاهد انعكاس وجهى فى مرآة الغرفة ، وأنا أقول :

ـ أجل ، كنت أحتاج إلى إجابة حاسمة على سؤال واحد منها ..

والتفت إليه لأواجهه بنفس الحزم :

ـ .. ومنك ، أين كنت أنت الآخر ليلة أمس فى التاسعة مساء ؟!

عاد (تامر) ينظر إلى (شهد) ـ التى أفلتت أصابعى ذراعها ـ محاولا أن يفهم منها دون كلام مغزى ما يحدث ، لكنها كانت أكثر منه رغبة فى المعرفة ..

وفى الخلاص ..

* * *

ـ هذا يفسر الأمور بالطبع ، ولو جزئيًا ..

قالها (تامر) بعد أن فرغت من سرد قصتى فى غرفته بالاستديو ، التى لا تختلف كثيرًا عن غرفة (شهد) من حيث المساحة أو المحتويات ، وكان كوب النسكافيه أمامى قد برد دون أن يمس ، مما يدل على أننى لم أكن أنا بالمرة ..

عقدت ساعدى وقلت فى جمود :

ـ أنتظر منك أنا الأخرى تفسيرًا ، ولو جزئيًا ..

زفر بقوة قبل أن يستجمع أفكاره قائلاً :

ـ ـ لا أدرى ، أنت تقولين أن هناك من يسير على نهج السيناريو على أرض الواقع ، وقد بدأ بتطبيق حادث قتل والدك .. أليس كذلك ؟!

ـ أنتظر منك ما هو أكثر من مجرد إعادة ما سمعته منى ..

ـ ما أستطيع تأكيده لك أن من فعلها بالأمس ـ إن كان هناك بالفعل من يقوم بأمر كهذا ـ لم يكن أنا ..

قلت مضيقة عينىَ فى شك :

ـ وما دليلك على ذلك ؟!

رفع (تامر) حاجبيه ، وبسمة مستنكرة قال :

ـ هذا اتهام مباشر لى إذن ..

قلت فى صرامة باردة تليق بفتاة مافيا :

ـ الجميع مدانون أمامى حتى يثبت العكس ، ولتذهب كل القوانين الأخرى إلى جحيم الحمقى بلا رجعة ..

ضحكة مبتورة ، ثم قال :

ـ لا تبدين فى حالة عقلية جيدة لو أردتِ رأيى ..

هاجمته على الفور :

ـ على الأقل لم أقتل أمى عندما كنت صغيرة !

تلاشت كل علامات المرح والدهشة والاستنكار من على وجه (تامر) ، وارتسم تعبير غريب لا أجد له وصفا ، تعبير طال وقته ، لكنه لم يُلن ملامحى ولم يجعلنى أتراجع عن سؤالى ..

ـ ليكن ..

قالها (تامر) بنبرة فيها انكسار ، غير أن هذا ما لا آبه به على الإطلاق ، وأنا أمر بحالة كهذه ..

ـ .. رغم أننى لست مضطرًا للدفاع عن نفسى ، لكنى سأريحك بحكم صداقتنا الجامعية على الأقل ، لقد كنتُ هنا طوال الأمس حتى الآن ، فى الاستديو ، أتابع خطوات التحضير لبدء التصوير بنفسى ، وهناك أكثر من مائة عامل فى الاستديو يستطيعون أن يشهدوا بذلك ..

المزيد من الشك :

ـ و(شهد) ؟!

تنهد :

ـ كانت معى ، لو تريدين سماع شهود فيمكننى استدعاؤهم فى الحال !

لم ألق بالا لما يقول ، وواصلت :

ـ أحتاج لسؤال المخرج أيضًا ، أين أجده ؟!

رفع بصره نحوى :

ـ ليس هنا ..

الاستنكار كان من نصيبى أنا هذه المرة :

ـ ماذا تعنى ؟! المخرج يجب أن يكون متواجدًا أثناء التصوير ، أم أنك تحاول إخفاءه ؟!

زفر (تامر) فى قوة ، وحاول أن يتحلى بالصبر وهو يقول :

ـ (أحمد عبد المجيد) ليس مخرجًا ، إنه مجرد ستار ..

ولما ارتسم الغباء على محيا فسر (تامر) أكثر :

ـ .. أحتاج فى هذا الفيلم بالذات إلى تنفيذ رؤيتى الخاصة ، لكنى لست مخرجًا معترفًا به نقابيًا بينما (عبد المجيد) كذلك ،

لذا فقد اتفقنا على أن أشترى منه اسمه على التترات والأفيش تحت مسمى المخرج نظير مبلغ من المال ، فى مقابل أن أقوم أنا بالإخراج الفعلى ..

هززت رأسى فى فهم :

ـ هو مجرد إمعة إذن ..

ـ تمامًا !

قلت متجاهلة المخرج مؤقتًا :

ـ أحتاج أيضًا إلى رؤية المنتجة والمؤلف و...

قاطعنى :

ـ حنانيك يا (نسرين) .. حاولى أن تفكرى فى الأمر ببعض المنطقية ..

قلت فى تحد سافر :

ـ المنطق يقول أن من فعلها واحد ممن قرءوا السيناريو ..

قال فى تحد سافر :

ـ المائة عامل الذين أحدثك عنهم جميعهم قرءوا السيناريو تقريبًا ، فريق عمل الفيلم كله لابد وأن يكون قد قرأ السيناريو .. هل ستستجوبينهم جميعًا ؟!

لم أكن طبيعية بالمرة :

ـ إن استدعى الأمر فسوف أفعلها !

ـ إن جميعهم من المحترفين فى العمل السينمائى ، وغالبيتهم ـ إن لم يكن كلهم ـ لا يعرفونك بصفة شخصية ، ولا يكنون تجاهك أية ضغائن ، هذا إن كانوا قد سمعوا عنك من الأصل ، دعينا نحاول أن نكون أكثر منطقية ..

عقدت ساعدى أمام صدرى ، وأنا أجاهد حتى لا أسقط نائمة :

ـ كيف ؟!

قال عارضًا وجهة نظره :

ـ لو افترضنا صحة نظرية أن هناك من يطبّق ما جاء فى السيناريو ، رغم ميلى لقانون المصادفة بصفة شخصية ، فهو أكثر عقلانية من قانون المؤامرة ، إلا أن افتراضنا هذا سيقودنا للسؤال الحتمى : ما المانع أن يكون السيناريو حقيقيًا من الألف إلى الياء ؟!

(وعلى الرغم من أن السيد (س) يساعدك فى إعطاء مفاتيح لكشف الجرائم تباعًا ، إلا أن النهاية المفاجئة تكون فى أنه هو من ارتكب هذه الجرائم ..) ..

عدت أسأله :

ـ تريد أن تقول : إن السيد (س) هو القاتل ؟!

ـ على اعتبار أنه شخصية موجودة بالفعل ..

(لكن النهاية مع ذلك تظل مفتوحة فى احتمال كون السيد (س) هذا مجرد وهم ، وأنه انعكاس لشخصية سوداء ولدت فى داخلك ..)

نظرت فى عينيه مباشرة ، وقرأتها فى عينيه صريحة رغم أنه لم يتفوه بها :

لماذا لا أكون أنا التى فعلتها ؟!

(بمعنى احتمالية أن تكونى أنتِ من ارتكب هذه الجرائم قبل انتحارك !)

كلا ،

هذا جنون ..

جنون مطبق !!

* * *

ـ أعتقد أننى فى حاجة للنوم العميق قبل اتخاذ أى خطوة أخرى ..

نوم من النوع الذى يمنح النشاط والقوة وحدة التفكير ، والأحلام ..

* * *

٦ ـ فوتومونتاج ..

واقفة على سجادة حمراء تمتد إلى المبنى الشاهق ..

خلفى (رولز رويس) سوداء ..

وأمامى جيوش من الصحفيين والفلاشات ..

الهمهمات تدور حول نوع العطر الذى يفوح من جلدى الصقيل ..

تدور حول مصمم الأزياء الشهير الذى أتحفنى بهذا الرداء المسائى اللامع الباهظ الثمن ..

حول الجائزة التى أتلقاها الليلة ..

حول ابتسامتى التى تليق بنجمة متألقة ..

أخطو ـ كملكة متوجة ـ إلى الداخل ، حيث تبتلعنى المقاعد المتراصة ..

ثم يبدأ المهرجان ..

أسماء .. هتافات ، تصفيقات حادة ..

ثم تخفت جميع الأصوات !!

وتذوى المرئيات ..

تتماوج ثم تتلاشى ..

لا يبقى تحت الدائرة الضوئية سواه ..

هو ..

ظل بلا ملامح ..

وغموض متسربل بالغموض ..

أصفق وحدى ..

وأرتفع ـ كريشة خفيفة ـ من فوق مقعدى ..

يمد إصبعًا من الظل نحوى ..

وأراه بلا عينين يتسلم من فوق المسرح الجائزة ..

رأسى المقطوع !

وأنا معلقة فى الهواء ، جسد بلا رأس !!

* * *

أيقظنى رنين هاتفى المحمول ، وكان مزاجى متعكرًا من هول الكابوس ..

كان (هشام) ، ويبدو أننى قد رددت عليه دون أن أعى ..

ـ آلو ...

ـ كنتِ نائمة ؟!

صوتى واضح كشمس النهار ، رغم أنها السابعة مساء كما تشير عقارب منبهى الفسفورية إلى جوار السرير ..

ـ أجل ..

قلتها فى اقتضاب ، وأنا أعتدل من نومتى ، وأتثاءب فى إجهاد ..

ـ أردت أن أطمئنك على أبيك وعلى سير التحقيقات ، إننا نعمل على قدم وساق ..

ـ شكرًا ..

ـ هل أنت على ما يرام ؟!

أرى الطريق الذى يريد مترددًا أن يلج فيه ، لكننى على غير استعداد لمجاراته ..

ـ أعتقد هذا ..

نظرت فى مرآة غرفة نومى ، مظهرى لا يوحى بما أقول ..

ـ فى الحقيقة يا (نسرين) ، إننى منذ الصباح أحاول استجماع الكلمات التى أعبر بها عن موقفى عندما رأيتنى مع (ماهيـ ...

قاطعته :

ـ اهتم بنفسك يا (هشام) ، ودعك من هذه التفاهات ..

ـ ماذا ؟!

ـ إلى اللقاء ، وهاتفنى عندما يجد جديد ..

وأغلقت السماعة مستعدة لرحلتى الليلية نحو الحقيقة ..

* * *

وضع خادم متأنق قطعة من الحلوى الفاخرة فى طبق أفخر ، وفنجانًا مزخرفًا يحوى شايًا صينيًا لخضر أمامى على الطاولة المنخفضة ، وماء حمام السباحة المجاور لا يزال يترقرق ملامسًا الحواف فى بطء فى قصر السيدة (نورا عبود) .

كانت السيدة (نورا) تجلس أمامى وقد ارتدت ثوبًا بسيطًا ، زينتها الخفيفة أبانت تجاعيد وجهها بوضوح رغم الجراحات التجميلية الواضحة الأثر ..

إنها لم تكن تنتظر زيارتى ، أو لعل هذا ما أرادت إظهاره :

ـ البارحة فى التاسعة مساء كنت هنا فى بيتى ، أنا لا أغادره هذه الأيام إلا نادرًا ..

سألتها متقمصة دور المحقق السمج :

ـ وحدك ؟!

ـ كلا ، فى السابعة والربع تقريبًا جاء مدير الإنتاج ومعاونوه لمناقشة بنود ميزانية الفيلم ..

أستطيع التأكد بسؤال مدير الإنتاج هذا أو أى من معاونيه ، ولكن لكى يطمئن قلبى :

ـ فقط ؟!

ـ لقد أصروا على اصطحابى للاستديو من أجل رؤية موقع التصوير الذى انتهى بناؤه ، والذى يمثل غرفة نومك ، حاولت التملص لكن الإصرار كان قطعيًا ، وهكذا ذهبت معهم إلى البلاتوه ، وشاهدت الموقع وعدت قبل العاشرة !

جميع من فى الاستديو رأوها إذن ، (تامر) يمكن أن يؤكد لى ذلك بمجرد مكالمة هاتفية لن أحتاج إليها فى الغالب ..

إذن .. من التالى ؟!

سألتنى السيدة (نورا) فى ذكاء :

ـ هل أعتبر هذه الأسئلة من اختصاصك كصحفية مجتهدة ؟!

أجبتها بلهجة لا ينقصها الدهاء :

ـ يمكنك اعتبار ذلك ..

قالت وهى تشير إلى الحلوى والشاى الأخضر :

ـ سأنتظر خبرًا فى مكان جيد من عدد الجريدة القادم عن الفيلم ..

إنها تجيد التعامل مع الصحفيين ، لكنى الآن لست هنا بصفتى الصحفية ، رغم أنه يمكننى التظاهر بذلك طبعًا :

ـ التحقيق أفضل وأوسع وأشمل ..

ـ تحقيق مرة واحدة ؟!

ـ بالتأكيد لكن لى قبلها مطلب لابد منه ..

ـ مرينى ، لو كان فى حدود (إمكاناتى) !

تجيد التعامل مع الصحفيين ، حقًا ؟!

ـ إنه فى حدود إمكاناتك على ما أظن ، أحتاج فقط إلى عنوان الأخوين : (عبد المجيد) ورقم هاتفيهما إن أمكن ؟

ـ غالية والطلب (رخيص) .. (رخيص) جدًا !

يجب أن أدعها فى انشغالها بالدعاية لفيلمها الذى بدأ تصويره اليوم بالكاد ، وأن أستعد لمرحلتى المقبلة ..

* * *

ـ كنت هنا فى صومعتى أقرأ وأكتب .

قالها الدكتور (محمد عبد المجيد) ردًا على سؤالى المكرر ، مشيرًا لجدران الحجرة التى تحولت إلى أرفف تكدست فوقها أكوام الكتب والصحف والمجلات ، ثم توقف ببصره عند مكتبه الخشبى المتهالك ..

إنها حجرة صغيرة فوق سطح بناية قديمة فى منطقة (عابدين) ، يستخدمها كصومعة ـ على حد تعبيره ـ للقراءة والكتابة ..

سألته سؤالى الآخر المكرر أيضًا ، دون أن أتابع يده التى تدور حول أنحاء الحجرة :

ـ وحدك ؟!

هز كتفيه ، وقال فى نرجسية فنية مبالغ فيها :

ـ الفنان لا يقرأ ولا يكتب إلا بمفرده ، هذا لو تغاضينا عن نظام الورش الفنية الذى لا أفضله ؛ لأنه يقضى على الهوية الفردية ويمحقها محقًا ..

عقدت ساعدى أمام صدرى ، واعية تمامًا بسخافة أسلوبى وكلماتى نفسها :

ـ وكيف أتأكد من أنك كنت هنا بالفعل الساعة التاسعة مساء يوم أمس ؟!

تردد للحظة قبل أن يسأل السؤال المنطقى :

ـ لماذا توجّهين لى هذه الأسئلة ؟! أشعر أنه تحقيق نيابة لا تحقيقًا صحفيًا !

قلت فى حدة :

ـ أنا التى أسأل من فضلك ..

احتوى حدتى بهدوء يحسد عليه :

ـ يمكنك أن تسألى البواب ..

قلت فى عناد :

ـ وكيف يمكن أن أتأكد أنه لا يكذب على ؟!

غالب الدكتور (محمد) دهشته من أسلوبى ، وقال :

ـ لن يكذب عليك ؛ لأننا فى حالة عدم توافق منذ سكنت هاهنا ، بمعنى أنه لن يدارى علىّ حتى لو طلبت منه ذلك ، وبالنسبة للتأكد من موضوع شجارنا ـ أعلم أنك ستسألينى سؤالا كهذا ـ يمكنك سؤال الجيران عنه ..

ـ ما يقوله منطقى بالفعل ، إنه لن يتصور أننى سأنفذ ما يقوله بالحرف الواحد ؛ لذا فقد اعتبرت أننى قد فرغت منه وسألته على الفور السؤال التالى فى قائمتى الذهنية :

ـ ماذا عن أخيك ؟!

تصور أننى عدت صحفية ، فرسم بسمة خرقاء وتحدث كمن يلقى خطابًا فوق منصة :

ـ إنها صدفة ، لكنى أعتقد أنها صدفة حسنة ستضيف إلى تاريخ السينما فى الشرق الأوسط ، أسوة بالأخوين (واتشوفسكى) اللذين أخرجا للعالم ثلاثية (ماتريكس) الخالدة ، أو الأخوين (كوين) اللذين نالا (أوسكار) عن تحفتهما الفنية (فارجو) عام ...

قاطعته ، فلم أعد صحفية كما توهم :

ـ اسألك عن المكان الذى يمكن أن أجده فيه الآن !

بهت الدكتور (محمد) لوهلة ، قبل أن ينظر إلى ساعة معصمه ثم يقول :

ـ إنه يقضى وقته غالبًا فى النادى اليونانى بمنطقة وسط البلد ..

هممت بمغادرة صومعة السطح هذه وأنا أقول :

ـ سأجده هناك إذن ..

ـ بنسبة تسعين فى المائة ، ولكن ..

نظرت إليه وهو يكمل :

ـ .. حاولى أن تتحدثى معه بلهجة ألطف قليلاً من التى تتحدثين بها معى ، فهو عصبى المزاج ، ولن يحتمل هذا الأسلوب المستفز ..

نظرت إليه دون أن أرد ، فأكمل مجددًا :

ـ .. لقد عانى من أزمة نفسية مبكرة فى مراهقته ، عندما تركته الفتاة التى يحبها ، ومن يومها وهو يأخذ جلسات علاج نفسى ، وتعاوده الأزمة من آن لآن ..

استمعت لحديثه بعمق ، وطنّت نحلة الأفكار المزعجة فى رأسى المتألم ..

إذن إنه مريض نفسى آخر!

★ ★ ★

النادى اليونانى الذى يحتل الطابق الثانى من بناية شهيرة تطل على ميدان (طلعت حرب) ..

سألت النادل الذى يرتدى بذلة بيضاء :

ـ أين أجد الأستاذ (أحمد عبد المجيد) المخرج ؟!

أشار النادل إلى طاولة بعيدة تطل على الشارع ، ورأيته فاتجهت نحوه على الفور ..

كان يجلس فى مواجهة فتاتين تفتقران للجمال ، ترتديان ملابس غريبة ، ويبدو من هيئتهما الغريبة التظاهر بالفن ..

وما أكثر المتظاهرين !

دون استئذان جلست بجواره ، فنظر نحوى مقطبًا ..

ـ إنه أنتِ إذن !

دون تحية سألته :

ـ أين كنت البارحة فى التاسعة مساء ؟!

نظر نحوى مليًا ، وأخذت إحدى الفتاتين تلتقط قطع البطاطس المقلية فى طبق بالشوكة المعدنية أمامها ،

فى حين نظرت الأخرى نحوى فى تساؤل ، لكنى تجاهلتهما تمامًا وقررت تركيز جهدى على هدفى ؛ (أحمد عبد المجيد) الذى نظر إلىّ نظرة هازئة ، ثم ضحك ضحكة عالية غليظة ..

- يا لك من مهرجة ، هل لديك نكتة أخرى ؟!

كظمت غيظى ، وأنا أنظر إليه بينما يندلع فى عينى شرر الغضب ، وعدت أسأله :

- أين .. كنت .. البارحة .. فى .. التاسعة .. مساء ؟!

صرخ فى وجهى وقد انتقلت إليه عدوى الغضب :

- وما شأنك أنتِ لكى تسأليننى سؤالا كهذا ؟!

جاهدت لكظم غيظى أكثر :

- لماذا لا ترد على سؤالى حتى أتركك فى سلام ؟! هل أنت خائف من شىء ما ؟!

ضرب كفيه ببعضهما وهو يقول :

- أنت مجنونة حقًا !

- لديك حق ..

.. وفى اللحظة التالية ..

- إننى مجنونة ..

.. التقطت الشوكة المعدنية من فوق الطاولة أمامه ..

- مجنونة إلى أقصى حد ..

واندفعت نحوه بكل ثقل جسدى ، ليميل جذعه العلوى عند حافة الشرفة المطلة على شارع قصر النيل بالأسفل ، ليدوى الصياح المرتعب فى النادى كله ..

كنت أمسك بشوكة الطعام المعدنية ، أسددها بوجه ملتهب احمرارًا إلى الوريد السباتى فى رقبة (أحمد عبد المجيد) ، وحاجباى منعقدان وأنفاسى تلهث ، بينما عينا هذا الأخير جاحظتان ، وهو متشبث بالحافة ، بينما تطلق حنجرته موجات أخرى من الصياح المرتعب الرهيب ..

- ستخبرنى أين كنت البارحة فى هذا الوقت ، من السادسة حتى الثامنة !

قلتها فى إصرار ، وأنا أضغط أسنانى بكل قوة عضلات فكى ، بينما الجالسون قد نهضوا وتحلقوا حولنا ، والمهمهات اختلطت بالهتافات بصيحات الفتاتين الجالستين أمامه ، والجميع يطلبون منى أن أتركه لحاله حتى لا تحدث جريمة ..

ـ مجنونة .. أنت مجنونة .. أبعدوا عنى هذه المجنونة ...

صاح بها (أحمد عبد المجيد) فى رعب ، فعدت أقول وأضغط أسنانى :

ـ اعتبرنى ما شئت ، ولكن أجبنى على الفور ..

وأتبعت موضحة علّنى أخرج منه بما أريد :

ـ أنت لا تذهب إلى موقع التصوير ، أخبرنى (تامر فوزى) أنك مجرد إمعة !

صاح أخيرًا وقد ابيض وجهه كالموتى الأحياء :

ـ كنت هنا ..

السؤال الآخر :

ـ وحدك ؟!

الإجابة المقتضبة :

ـ كل هؤلاء كانوا هنا ، أنا من الزبائن الدائمين ، اسألى (ريم) و(أسماء) ؛ فقد كانتا معى طوال ليلة أمس ..

أتانى هتاف إحدى الفتاتين مؤكّدًا ما يقوله ، وكذلك تأكدت من أكثر من شخص متحلق حولنا ، فألقت الشوكة الضاغطة

على وريده السباتى أخيرًا ، وألقيت بها فوق الطاولة التى كان يجلس عليها ، ووقفت ألهث ..

ليس هو أيضًا ..

وهكذا فقدت آخر الخيوط القريبة التى يمكن تتبعها ، وبقيت الخيوط المجهولة لأكثر من مائة عامل فى الفيلم ، أحدهم ـ ربما ـ هو الذى أودى بأبى إلى غرفة العمليات بساق مكسورة ..

ابتعدت نحو باب الخروج بعد أن فرغت من مهمتى ، تتبعنى صيحات (أحمد) :

ـ أبلغوا الشرطة .. أمسكوها .. لا تدعوها تفلت ..

بينما المتحلقون من حوله يحاولون تهدئته ..

الخيط مفقود إذن ، وهكذا يمر ما حدث لأبى دون قصاص ..

لو أننى أستطيع الاتصال بالسيد (س) ليدلنى على خيط آخر ..

لحظتها ـ وبينما أهبط درجات السلم إلى أسفل ـ رن هاتفى المحمول فى جيبى ، وكأن السيد (س) يقرأ أفكارى ..

ـ السيد (س) ؟!

هتفت بها فى لهفة فور ضغطى زر قبول المكالمة ، فقال الصوت الأجش إياه :

ـ فى الوقت المناسب دائمًا ..

سألته على طريقة الضربة الحرة المباشرة :

ـ مَنْ وراء ما حدث لأبى ؟!

فأجابنى على طريقة الضربات الركنية :

ـ تسيرين كالمعتاد فى الاتجاه الخاطئ ..

سألته :

ـ أين الاتجاه الصحيح إذن ؟!

فأجابنى :

ـ أعرف من فعلها ومن سيفعلها ..

سألته :

ـ من ؟!

فأجابنى :

ـ هو أمير الانتقام يا أميرة الانتقام !

سـألته :

ـ الانتقـام ؟!

فأجابنى :

ـ يحركه كما يحركك يا عمياء ..

سألته :

ـ أنا عمياء ؟!

فأجابنى :

ـ من لا يرى ما أمامه فهو أعمى ..

سألته :

ـ وما الذى لا أراه ؟!

فأجابنى :

ـ السيناريو !

ثم إنه أجابنى :

ـ حاولى اللحاق بالضحية التالية إذن !

فسألته :

ـ (هشام) ؟!

ليجيبني :

ـ بالمناسبة ، إنه برىء مما تظنين أنه يفعله ..

ثم ...

توت توت توت ..

صفارة انقطاع الخط ..

والهلع ..

* * *

٧ ـ ذروة ..

[مقطع من السيناريو]

● شارع مهجور من شوارع (المعادى الجديدة) ـ ليل / خارجى

ـ أقماع البلاستيك الأحمر تسد مجرى الطريق فى نقطة بعيدة نراها عند نهاية الأفق ..

ـ « زووم إن » تدريجى لتتضح الرؤية فى قلب الظلام المخيم ، سيارات الشرطة واقفة بجانب الطريق وهناك عدد من الضباط والجنود منتشرون حولها ..

ـ الكاميرا تصعد من قدم ضابط جالس على مقعد جانبى فى سيارة بابها مفتوح لأعلى ، حيث تتضح لنا ملامحه مع الصعود ، إنه الرائد هاشم خطيب نادين يشعل سيجارة وينفث دخانها أمامه فى استمتاع ونشوة ..

ـ من لاسلكى السيارة تتصاعد إشارات قد لا نميز ماهيتها لكنها مهمة لإضفاء الجو الواقعى على المشهد ، الموسيقى توحى بالغموض وانتظار خطر ما ..

- يقترب جندى من الرائد هاشم ويميل نحوه ..

الجندى

فيه عربية واقفة على آخر الطريق يا هاشم بيه

هاشم

واقفة ؟!

- يقولها باستغراب ، وينهض ملقيًا بالسيجارة التى احترق أقل من نصفها بعيدًا ، فى نفس اللحظة التى يرن فيها هاتفه المحمول الذى تركه داخل السيارة ..

- تقترب الكاميرا من شاشة المحمول الذى يرن لنرى اسم نادين واضحًا فوقه ، إنها تحاول تحذير هاشم من خطر ما ، لكنه غير موجود كما نعرف ..

- الكاميرا من نظرة عين طائر علوية تنتقل فى حركة سريعة من موقع الكمين إلى سيارة متوقفة بعيدًا عنه بمسافة مائة متر تقريبًا ، وقد أنار سائقها أضواء الانتظار التى تضىء وتنطفئ باطراد ..

- هاشم يقف بجوار أحد الأقماع البلاستيكية ، وهو ينظر إلى السيارة البعيدة عاقدًا حاجبيه ، وقد بدأ التوتر يظهر عليه ..

- من وجهة نظره نرى السيارة الواقفة من بعيد بينما تتصاعد الموسيقى الموحية بالخطر ..

- هاشم يحسم أمره ويسير نحوها متحسسًا مسدسه تحت سترته ..

الجندى ..

على فين يا هاشم بيه ؟!

هاشم ..

راجع على طول ..

- يتصاعد جو التوتر الموسيقى مع اقتراب هاشم من السيارة ..

- من منظور عين التصويب فى بندقية احترافية من داخل السيارة المتوقفة بعيدًا نرى هاشم ، وهو يواصل اقترابه الحثيث ..

- داخل السيارة ، هناك شبح متشح بالظلال يوجه البندقية نحو هاشم المقترب ..

- « كلوز » على إصبع يضغط الزناد ..

ـ من منظور عين التصويب ، رصاصة تخترق صدر هاشم ..

ـ يسقط هاشم صائحًا فى ألم وسط الطريق ..

ـ يدور محرك السيارة ، ويتراجع بها سائقها إلى الوراء ، ثم ينطلق بها مبتعدًا فى اتجاه السير المعاكس ..

ـ الجندى يهرع نحو هاشم فى فزع ..

ـ الهاتف المحمول داخل السيارة مازال يرن واسم نادين يحتل الشاشة ..

ـ قطع ـ

★ ★ ★

هبطت من السيارة مسرعة أمام مبنى المباحث الجنائية ، واتجهت من فورى إلى الدرجات الصاعدة عندما دوى الهتاف من خلفى ..

ـ آنسة ، يا آنسة ..

التفت إلى الرجل الأسمر المسن الذى يرتدى قبعة من الصوف ، وملابس بسيطة ثقيلة ، والذى يخرج حرف السين من بين أسنانه الصفراء المهترئة مصحوبًا بكمية وافرة من الهواء ..

ـ هل أعرفك ؟!

سألته فأشار إلى كشك تصوير المستندات القريب ، قائلاً دون أن تزول بسمته الطيبة :

ـ أنا (سلامة) صاحب هذا الكشك ..

تذكرت أين رأيته من قبل ، ولكن ..

ـ خيرًا يا عم (سلامة) ..

قال الرجل :

ـ فى الحقيقة أنك قد قمت بتصوير عدة نسخ من كتاب ضخم لدينا قبل أيام ، وهناك نقود باقية لكِ لم تأخذيها ، انتظرت كثيرًا أن أعطيها لكِ لكنك لم تظهرى أبدًا من يومها ..

ومد يده إلى بورقة زرقاء من فئة الخمسة وعشرين قرشًا ، والبسمة تأتى على ما تبقى من وجهه الأسمر ..

يا للأمانة !!

حاولت أن أخبره بأن المبلغ تافه ولا يستحق أن يعطيه لى ، وحاولت أن أقول له على طريقة المصريين الأثيرة (خليه) ، وحاولت أن أنطق بكلمات تثنى على أمانته وأخلاقه ، لكن اللحاق بالكارثة كان أهم بالنسبة للحظة الراهنة ..

ثم إن ...

كلا ، هذا ليس وقته ..

صحيح إن (هشام) ليس خطيبى الآن ، على الأقل بقرار شخصى اتخذته ، لكنه إنسان فى خطر بسببى ..

والأهم من هذا ، أننى لا زلت أحبه !

* * *

نظرتُ إلى الضمادة الملوثة بالدم فوق ذراع (هشام) المكشوف ، ثم إلى وجهه الذى يغالب الألم فى جلسته على سرير غرفة الطوارئ الجلدى بمستشفى قصر العينى ، وطفرت عيناه بالامتنان إذ سألنى :

ـ كيف عرفتِ أننى هنا ؟!

أجبته وأنا أجلس إلى جواره محاولة تفحص الجرح عن قرب :

ـ سألت عنك فى المكتب ، أنت تعرف سماجتى عندما أرغب فى الحصول على معلومة ما ..

تأوّه بشدة عندما لمس إصبعى موضع الجرح ، ثم قال محاولا أن يتقمص دور المريض اللامبالى بما يعانيه :

ـ لحسن الحظ لم يكن اللعين ماهرًا فى التصويب إلى هذا الحد ، كما ينص السيناريو ..

ـ قلت لك أن تأخذ الحذر ..

قال مغتصبًا بسمة متألمة :

ـ لم يكن ممكنًا أن أعتذر عن الخروج فى كمين ليلى ، لمجرد نبوءة سينمائية تفترض أن هناك من سيحاول اصطيادى أثناء القيام بعملى ..

سألته دون أن أرفع بصرى عن الضمادة التى تشربت دمه :

ـ وهل نفّذ اللعين ـ كما تسميه ـ السيناريو بحذافيره هذه المرة أيضًا ؟!

ـ ليس إلى هذا الحد ، صحيح أن هناك سيارة (دايو لانوس) سوداء حديثة ، قد توقفت قرب الكمين الذى أقمناه فى محور ٢٦ يوليو من جهة مدينة السادس من أكتوبر ، أى ليس فى (المعادى) كما يفترض السيناريو ، لكن الرصاصة لم تأت من داخلها ، وإنما من قلب الصحراء المظلمة ، ولم تفر (اللانوس) التى وجدنا فى داخلها مراهق يقود سيارة والده دون رخصة قيادة ، وليست له أى علاقة بالرصاصة ومن أطلقها ، الصدفة وحدها قادته إلى المكان الخطأ فى الوقت الخطأ !

ـ وماذا عمّن أطلق الرصاصة ؟!

ـ كان من الصعب أن نطارده فى قلب ظلام الصحراء ، لكن تمشيط المنطقة أسفر عن وجود آثار أقدام لشخص فرّ إلى حيث لا ندرى ..

ـ كان على قدميه بدون سيارة إذن ؟!

ـ هذا احتمال قوى لكنه غير مؤكد ..

أشرت إلى الضمادة مجددًا ، وأنا أسأله مغالبة قلقى :

ـ وماذا عن الجرح ؟!

تبسم (هشام) مجيبًا :

ـ بسيط جدًا ، جرح سطحى لم تخترقه الرصاصة ، فقط احتكت بالجلد والعضلات ، إن الطبيب لم يحتج حتى لخياطته جراحيًا ، واكتفى ببعض المطهرات والضمادة ..

تنهدت فى عمق :

ـ لا بأس ..

ودفنت وجهى فى كفى ، فعاجلنى (هشام) محاولا التهوين :

ـ لا تقلقى ، سنعثر على هذا المجنون قبل أن يصل إليكِ إن شاء الله ..

لكن استنتاجه كان خاطئًا :

ـ لستُ قلقة بشأن حياتى لهذه الدرجة ، وإنما أحاول ترتيب أفكارى ..

ثم غمغمت فى نبرة عميقة :

ـ .. أشعر بأننى قريبة للغاية من شىء ما ، هو أقرب مما أتصور ، وربما لهذا السبب هو أمامى ولا أراه ..

عقد حاجبيه :

ـ ماذا تعنين ؟!

نهضت فى مواجهة حائط غرفة الطوارئ ، مجاهدة للبحث فى أعماقى عن هذا الشىء :

ـ من الواضح أن هذا المخرج الواقعى الذى ينفذ السيناريو بدقة بعيدًا عن الشاشة يعرفنى جيدًا ، وقد درس كل شىء بمهارة .. يعرف أبى وينتظر خروجه من المستشفى ، يعرف خطيبى ويطارده فى الكمين ، ثم ...

انتهز (هشام) فرصة صمتى ليغمغم مفكرًا بصوت مسموع :

ـ لن يدهشنى أن يكون السيناريو صحيحًا فى افتراضاته حتى النهاية ..

نظرت إليه منتظرة تفسيرًا ، فلم يبخل علىّ به :

ـ أعنى أن يكون بطلك هذا هو الذى فعلها ..

قلت ساخرة وأنا أستعد لمواجهة الحائط :

ـ علىّ لو كان هذا صحيحًا أن أذهب للعلاج عند طبيب نفسى على الفور ..

سألنى فى عدم فهم :

ـ لماذا ؟!

ـ لا عليك ، إنه هذيانى المعتاد ..

ولفنا الصمت ..

تردد (هشام) مليًا قبل أن يقول :

ـ (نسرين) .. أ .. أنا .. أ .. أشكرك على اهتمامك بى .. هذا يعنى أن هناك أمل أخير فى أن تستمعى إلى ..

قلت وأنا لا أزال فى مواجهة الحائط :

ـ لقد سامحتك ..

أستطيع أن ألمح الذهول على وجهه وأنا أتابع :

ـ .. والفضل لبطلى الذى يعرف كل شىء ..

ثم إنى التفت إليه من جديد ، وقد أخرجت يدى من جيبى بينما انعقد لسان (هشام) واتسعت عيناه ، أعتقد أنه قد نسى آلامه كلية ، وأنا أمد إليه يدى قائلة :

ـ يمكنك أن تعيد إلى خاتم خطوبتى ..

هتف (هشام) بى متابعًا أمرًا آخر :

ـ انتبهى لما سقط من جيبك ..

لحظتها انتبهت لما سقط من جيبى ، وأنا أخرج يدى منه ..

الورقة المالية الزرقاء من فئة الخمسة وعشرين قرشًا ، التى أعطانى إياها العم (سلامة) ، وعندما انحنيت لالتقاطها من فوق الأرض ، لاحظت الكتابة فوقها ..

حامد حماد

الترجمان ـ حارة نوفل ـ بناية رقم ١٤

عندها سطعت الحقيقة أمام عينى كلمح البصر ..

(.. وأعطيت السيناريو للشاب الواقف هناك قائلة :

ـ ثلاث نسخ من فضلك ..

تناول الشاب السيناريو منى ، وبدأ فى تصويره على الفور .)

كان الواقف فى كشك التصوير شابًا ، صحيح أنه تبقى لى ربع جنيه كامل من قيمة تصوير نسخ السيناريو ، إلا أنى لم أر العم (سلامة) هذا طوال فترة وقوفى أمام الآلة حتى مغادرتى حاملة النسخ الثلاث ، مما يعنى أنه ..

ثم إن اسمه يبدأ بحرف السين كما هو واضح !

يبدو أنه فى خضم قلقى على (هشام) لم أنتبه لهذه الحقيقة البسيطة ، و...

ـ ما الغريب فى هذه الورقة المالية حتى تحدقى فيها هكذا ؟!

سألنى (هشام) ، فأجبته :

ـ هل تعرف شخصًا يدعى عم (سلامة) ؟!

فكر (هشام) عابسًا قبل أن يجيب :

ـ من تقصدين بالتحديد ؟!

ـ رجل يقف فى كشك تصوير المستندات أمام مقر عملك ..

ـ لا يقف هناك سوى شاب أعرفه اسمه (حامد حمدى) !

هكذا تتضح الصورة إلى حد الجلاء ، فى الغالب ضغط (حامد) هذا زر الرقم (٤) فى آلة التصوير بدلا من زر الرقم (٣) ، ليحتفظ لنفسه بنسخة من السيناريو ، يقرأها ثم ...

احتمال بعيد ، لكنه قائم على أية حال !

برقت عيناى فى ظفر فسألنى (هشام) مستفسرًا :

ـ لماذا تسألين ؟!

أجبت عن سؤاله بسؤال :

ـ هل يعرف (حامد) هذا مواعيد خروجك فى الكمائن ؟!

هز (هشام) كتفيه قائلاً فى بساطة :

ـ بالتأكيد ، إنه يرانى فى أثناء خروجى ودخولى من المبنى ، لكن ...

وانتقلت الفكرة إلى خلايا مخه فجأة :

ـ .. أنت لا تقصدين أنه هو الذى .... ؟!

على الفور تركته راكضة نحو الخارج ..

إنها قضيتى وحدى ..

وانتقامى الذى سيكون رهيبًا بحق !

* * *

منتصف الليل تقريبًا ، وقت غير صالح بالمرّة للزيارات المنزلية ..

أوقفت سيارة أبى ، وهبطت أتنقط أنفاسى فى هدوء وتوعد ، وعلى وجهى ارتسمت ملامح تليق ببطلة من أمازونات الإغريق فى سبيلها لمنازلة غريم ..

كل شىء ساكن الآن ، فالعاصمة تنام مبكرًا فى أيام العمل الرسمية ..

نظرت إلى عمق الحارة الضيقة التى يفترض أن أخوضها على قدمىّ حتى أصل إلى بغيتى ، إذ لا يتسع عرضها لهيكل السيارة ..

لم أشعر بذرّة من الخوف ، وأنا أسير بين البنايات المتلاصقة إلى حد الاختناق ..

وأمام البناية التى أقصدها بالتحديد توقفت مالئة صدرى بهواء الليل المرعب ، ومالئة عينى من مشهد مدخلها المظلم كأنه قبر ينتظر من يلجه ..

لكنى ودون تردد ولجته ..

لا سبيل للتراجع ، خاصة وأننى لا أرى أمامى الآن إلا مشهد

أبى فى فراش المستشفى بعد إجراء العملية ، ممتزجًا بمشهد نزاع هشام المصاب ، مع تتالى سريع للصور (فوتومونتاج) لكل ما حدث خلال اليومين الماضيين من أمور رهيبة ..

أمام الباب القديم توقفت ، كدت أطرقه ولكن ..

لدهشتى كان مفتوحًا !

دفعته بيدى ولم أنتظر ، ودخلت دون أن أغلق الباب ورائى ..

أشم رائحة خطر بيّنة ، غير أن هذا أو غيره لن يفتّ فى عضدى ، فأنا أعرف بغيتى جيدًا ..

الشقة مظلمة إلا من ضوء يتسرب عبر باب موارب لغرفة فى العمق ، ضوء ضبابى شحيح كأنه يتسرب من مصباح قديم يعمل بالزيت ..

بقية الشقة داكنة لا تشى بشىء ، قديمة جدرانها آيلة للسقوط وأثاثها يطوه الغبار ، وبلاط الأرضية سنجابى متسخ ..

اتجهت على الفور إلى مصدر الضوء ، ودفعت الباب الموارب بيدى لأشهق فى خوف انقض على قلبى فجأة ككلب مسعور ، فانتفض كطائر مذبوح ..

حدسى صحيح ، مصدر الضوء الوحيد فى الحجرة هو مصباح قديم يعمل بالزيت ، موضوع فوق مقعد من الخشب بجوار الحائط ، لكن هذا ليس ما أثار هلعى ، وإنما ..

ـ كنت أنتظرك ..

.. وإنما صورى التى تملأ الحائط ، بعضها منزوع من الجريدة وبعضها تم التقاطه بكاميرا من بعيد لى وأنا خارجة من مبنى المباحث ، ومن مبنى الجريدة ، وفى الشارع أمام منزلى ، وصور أخرى متفرقة لأبى و(هشام) وقليلين من دائرة معارفى الضيقة نوعًا ما ..

ـ .. لكنك لم تتأخرى كما اعتقدت ..

قائل العبارة بصوت رفيع كان يجلس على مقعد مجاور لمقعد مصباح الزيت الذى تترنح ذبالته ، نصف وجهه غارق فى الظلام ، ونصفه الآخر يحمل ملامح رأيتها فى كشك التصوير ، ملابسه مهترئة ، ويحمل بين يديه أوراقًا ذات تغليف حلزونى جانبى ؛ لا يجب أن أكون عبقرية حتى أخمن ماهيتها ..

ـ من أنت ؟!

سألته مترددة فى اقتحام الحجرة أو البقاء عند أعتابها ، وقد نهض حاملا السيناريو بين يديه ، لتظهر بسمته فى نصف وجهه الذى يسقط عليه الضوء :

ـ ألا تعرفيننى حقًا ؟!

قلت فى حزم لا أدرى مصدره :

ـ أنت (حامد حماد) ، الذى يعمل فى كشك تصوير المستندات بجوار المباحث ..

اتسعت نصف بسمته فى الضوء ، وهو يقول :

ـ أو السيد (س) ..

ـ لست هو ..

قلتها متحدية ، فرفع السيناريو المفتوح بالقرب من وجهه وقال :

ـ لكنى أحاول أن أؤدى دوره على أكمل وجه ممكن ..

غمغمت فى غضب :

ـ أنت إذن من سعيت إلى قتل أبى وخطيبى ..

ـ لست أنا ، بل هو ..

قالها مشيرًا بسبابته إلى صفحة السيناريو المفتوحة أمامه ، ثم أتبع مستطردًا :

ـ والإخراج يسير فى طريقه الصحيح حتى الآن ، فها أنت قد أتيتِ لمقابلة السيد (س) فى منزله كما يقضى تسلسل الأحداث ..

قلت مستنتجة :

ـ لقد صورت لنفسك نسخة من السيناريو إذن ..

ـ فى الوقت المناسب تمامًا ، قبل أن أنفذ خطتى للانتقام !

ـ الانتقام ؟!

هتفت بها فى دهشة وأنا أذكر ما قاله السيد (س) قبل ساعات :

(.. هو أمير الانتقام يا أميرة الانتقام !) ..

(.. يحركه كما يحركك يا عمياء ..) ..

ـ أجل ..

قالها (حامد) دون أن يتحرك من مكانه ، وتلاشت بسمته إذ واصل فى رنة عميقة لم تتناغم مع نبراته الرفيعة الحادة :

ـ .. الانتقام من كل من دمروا حياتى !

صحت فى استنكار :

ـ أنا دمرت حياتك ؟!

صاح بدوره :

ـ لستِ وحدك ، وإنما الجميع كانوا شركاء فى هذه المؤامرة ..

ثم هدأ صياحه قليلاً وهو يتابع :

ـ .. رجال الشرطة الأوغاد اعتقلوا أبى ، فماتت أمى كمدًا ، وفشلت أنا فى دراستى ، وعجزت عن الالتحاق بالمكان الوحيد الذى يمكن أن أحقق فيه أحلامى .. معهد السينما !

صحت بنبرة أعلى فى استنكار أشد :

ـ يمكننى أن أتعاطف مع مأساتك ، لكن .. ما صلتى أنا بها ؟!

كان يلهث وهو يجيبنى :

ـ كان خطيبك ، الرائد (هشام القاضى) وقتها ، والنقيب (هشام) بك حاليًا ، هو من اعتقل أبى يا آنسة (نسرين) ..

ولمعت عيناه فى الظلام :

ـ .. من يومها قررت أن أنتقم ، وإن كان هذا آخر ما أفعله في حياتي .. من يومها ، وأنا أجمع المعلومات عنه وعنك وعن عائلته وعائلتك ؛ لأوجه له ضربة توجعه طوال حياته كما أوجعتني ضربته طوال حياتي ، من يومها وأنا أراقبه يوميًا من كشك تصوير المستندات جاهدت لفتحه بجوار مقر عمله ؛ لأقتفي أثره دون أن يشعر هو بي أو يشعر بي أحد ممن يخصونه .. كنت قد وضعت أكثر من سيناريو للانتقام المريع ، لكنك أتيتِ لي بأفضل طريقة للانتقام على طبق من ذهب في الأيام الماضية ..

ورفع المجلد بين يديه عاليًا :

ـ .. هذا السيناريو هو أفضل انتقام أوجهه له في حياتي ..

وضحت الصورة أمام عيني تمامًا :

ـ هكذا تتضح الصورة أمام عيني تمامًا ..

ـ تنفيذي للمكتوب أشعرني بأنني وغد عبقري حقًا ، صحيح أن الإخراج على أرض الواقع أكثر صعوبة من الإخراج على شريط سينما ، إذ لا يمكن تنفيذ اللقطة إلا مرة واحدة فقط ، بما يقتضيه هذا من تعديلات حتمية في السيناريو ، لكن الصورة النهائية مشجعة حتمًا .. لقد قمت بسرقة سيارة ، وتجهيز سلاح

كنت أعده سلفًا لمهمة الانتقام المرجوة ، وجمع المعلومات الكافية وإضافتها على المعلومات السابقة التي ترينها ماثلة أمامك على الحائط ، ولم أهمل أدق التفاصيل من أجل خروج العمل الفني على الوجه الأفضل .. أخبريني إذن ، ألست بالفعل وغدًا عبقريًا خسره المعهد العالي للسينما ؟!

ـ كلا ، لست وغدًا عبقريًا يا عزيزي (حامد حماد) ..

قلتها في مقت ، وأردفت :

ـ .. أنت وغد فقط !

قال متجاهلا تعليقي الذي شعرت بأنه لم يرق له أبدًا :

ـ لم يبق إلا مشهد الختام ، الذروة أو الـ climax بلغة أهل المهنة ..

سألته بلا خوف :

ـ الذي تقتلني فيه ؟!

أجابني بلا تردد :

ـ ثم أقتل نفسي ..

وألقى بالسيناريو نحوي في حركة مفاجئة ، لأتلقفه بيدي

قبل أن يسقط على الأرض التى تغطيها سجادة قذرة ، وبسرعة خارقة أخرج مسدسًا من جيبه وجهه نحوى فى ثبات ..

ـ بعدها ..

هكذا كانت المواجهة الأخيرة ..

مسدس موجه إلى فتاة تحمل فى يدها مجلدًا من الأوراق ..

وسبابة (حامد) تعتصر الزناد ببطء شديد ، بينما أشعر أنا بحركة ما عند باب الشقة من خلف ظهرى ..

ـ الوداع يا عزيزتى (نسرين) ، ليعرف خطيبك كيف يتألم من يفقد إنسانًا يحبه ، وحلمًا يعيش لأجله ..

قلت فى ثبات وأنا أحدق فى نقطة ما إلى جواره :

ـ النهاية سوف تكون مختلفة قليلاً يا عزيزى (حامد) ..

اعتصرت سبابته زناد المسدس أكثر :

ـ لن يلحق بك السيد (س) قبل أن تصيبك الرصاصة فى مقتل ، سأصوب بدقة هذه المرة ..

ـ السيد (س) ينقذنى أحيانًا ..

قلتها ، وأنا أحدق فى النقطة المجاورة له أكثر :

ـ لكنى أؤكد أن النهاية هذه المرة ستكون مختلفة ..

سبابته تعتصر نهاية الزناد ، وأنا أتحرك أخيرًا ..

فجأة ألقيت بمجلد أوراق السيناريو فى يدى إلى النقطة المجاورة لـ (حامد) ، أعنى مصباح الزيت المشتعل ، وقد صوبته بطريقة تجعل المصباح يسقط على (حامد) مباشرة ، لتبتل ملابسه القذرة بالزيت ، ثم تمسك النار بها وتتأجج ، بعد أن يتحطم زجاج المصباح على سجادة الأرضية المتسخة ..

سقط المسدس ، وصاح (حامد) فى ألم رهيب وقد أحاطت النار به أمام عينى الناظرتين دون ندم ، ثم امتدت النيران إلى السجادة والستارة وأوراق السيناريو ، بينما الصيحات الرهيبة تعلو أكثر وأكثر ..

هكذا تتحقق العدالة ..

غادرت الغرفة فورًا قبل أن تمسك بى النار بدورى ، وأمام باب الشقة لمحته متسمرًا ..

ظل شبحى لم أميز له ملمحًا ، اختفى على الفور ..

هرولت خلفه نحو السلم ، صحت ، وأنا أراه يصل فى سرعة رهيبة إلى مدخل البناية :

ـ انتظر ..

لكنه لم ينتظر ..

وعندما بلغت مدخل البناية بدورى ، كان الظل الشبحى يختفى عند نهاية الحارة الضيقة ..

وقفت ألهث وأفكر :

لن ألحق به أبدًا ..

لكن ..

هل كان هو حقًا ؟!

هل كان هو السيد (س) ؟!

سؤال لن أعرف إجابته !

رفعت بصرى إلى أعلى ؛ لأرى النيران الرهيبة تتأجج من خلال نافذة منزل (حامد) ، مضفية على ظلام الليل وهجًا برتقاليًا ، امتزج بصياحه الرهيب وانفتاح الأبواب والشبابيك فى تساؤل ..

بينما ابتعدت أنا عن مسرح الحدث فى هدوء ، كأن الأمر لا يعنينى بتاتًا !

* * *

اختفـاء تدريجى

من يستطيع أن يعترض مجرى نهر الحياة ؟!

تماثل أبى للشفاء بعد أسابيع قليلة ، وبدأ فى تعود المشى على ساقه المصابة ، ورغم ما عاناه بسببى إلا أننى وجدت رغم ذلك سببًا للتفاؤل ، فقد حصل على إجازة إجبارية من عمله المستمر ، إجازة أنعشت روحه ، وجعلتنى أقضى معه أوقاتًا صافية فى المستشفى وفى المنزل أثناء فترة النقاهة التى لم تنغصها مشاكل عمله المعتادة ..

(هشام) أيضًا تماثل للشفاء بسرعة ..

انفكت الضمادة عن ذراعه بعد أسبوع ، باشر خلاله مهمة التحقيق مع (حامد حماد) الذى لم يمت ، فقد أدركه الجيران وغطوه ببطانية سميكة ، لكنه أصيب بحرق من الدرجة الثالثة جعله يقضى شهورًا للعلاج فى المستشفى تحت إشراف الشرطة ، التى حولته فور تماثله النسبى للشفاء إلى النيابة العامة ، مع قائمة حافلة بسلسلة لا بأس بها من التهم ، أولها الشروع فى قتل جرّاح مخ وأعصاب ، وآخرها الشروع فى قتل صحفية ، بالإضافة للشروع فى قتل ضابط شرطة ، وهذه فى حد ذاتها تهمة كافية ..

روى لى (هشام) بعدها القصة كاملة :

لقد كان هو المكلف بالقبض على والد (حامد) منذ عامين بالفعل ، بتهمة الاتجار فى المواد المخدرة ، وقد تم ضبطه متلبسًا فى قضية مكتملة الأركان ، بينما ماتت زوجته والدة (حامد) بعدها بقليل متأثرة بمرض السكرى الذى كانت تعانى منه ، وكأن (حامد) قد قرر الانتقام من (هشام) ؛ لأنه كان يؤدى مهنته فى ملاحقة الخارجين على القانون والمفسدين فى الأرض واعتقال أمثال والده الذى مازال يقضى فترة عقوبته فى السجن ، وقد انضم إليه ابنه بعد أن تشوه بفعل الحريق ..

ستكون لى معهما مغامرة أخرى من نوع خاص عندما هربا من السجن وأرادا الانتقام منى ، لكن هذا ليس الوقت ولا المكان المناسبين لروايتها الآن ..

روى لى (هشام) عن (حامد) هذا المزيد :

(حامد) كان قد قدم أوراقه ؛ للالتحاق بمعهد السينما منذ عامين بالفعل ؛ ليصبح مخرجًا سينمائيًا كما كان يحلم ، وذلك بعد القبض على والده بشهر وقبل وفاة والدته بشهرين تقريبًا ، لكنه فشل فى اختبار القدرات ، الخطوة التمهيدية

الأولى للقبول بين طلبة المعهد ، ولم يكن ضيق ذات اليد هو السبب ، فوالده كان ثريًا من الاتجار فى المخدرات ، ورغم أن النيابة قد تحفظت على أمواله وممتلكاته ، إلا أن الكثير منها ما زال خفيًا بعيدًا عن يد العدالة ، والأرجح أن (حامد) يعرف طريقها ، وكان يمكنه أن يبدأ بهذه الثروة من جديد ، لكنه مع توالى الأحداث السوداء والكئيبة فوق رأسه ، فقد اتزانه النفسى واهتمامه بالحياة ، ووهب نفسه لمهمة الانتقام فحسب ..

إن التشوه الذى نال وجه (حامد) وجسده هو أفضل عقاب إلهى يستحقه ، بالإضافة طبعًا إلى عقاب المحكمة بالأشغال الشاقة المؤبدة مع والده فى سجن واحد ، وبحمد الله لم توجه لى النيابة أية تهم رغم اعترافى فى التحقيق بما حدث دون إغفال أية تفاصيل ..

لقد تعاطف الجميع مع موقفى الذى كان مجرد دفاع عن النفس أمام مسدس مصوب إلى رأسى مباشرة ..

ماذا أيضًا ؟!

اكتفيت من العقاب الذى أنزلته بـ (هشام) وألبسنى خاتم الخطوبة مجددًا فى منزلنا وبحضور أبى الذى كان طائرًا من السعادة ، كأننا فى حفل خطوبتنا الأول ، وغفرت له حادث (ماهيتاب) دون أن أسأله عنه ، ويبدو أن الحرج كان يمنعه بدوره من فتح هذا الموضوع ..

هل تريدون أن تعرفوا سر تواجدهما معًا فى مطعم الوجبات السريعة يومها ؟!

إنها أسرار عائلية يا سادة لا يصح التطفل عليها ، ظننت هذا واضحًا !

وبالنسبة للسادة الفضوليين الذين يتحرقون لمعرفة كل شىء ، أعدهم بأن يعرفوا ما يمكن معرفته فى الفصل الأول من مغامرتى القادمة مع السيد (س) ، تلك المغامرة التى شاهدت فيها الموت أمام عينى فى قبو السيد ...

لن أحرق عليكم تفاصيلها بالطبع ، لننتظر سويًا إلى المغامرة القادمة ، فالصبر مفتاح الفرج كما يقولون ، وأستطيع أن أعدكم بكثير من المفاجآت التى يشيب لها الولدان ..

ماذا أيضًا ؟!

سارت الحياة فى طريقها ، عدت للعمل فى الجريدة كأصغر رئيسة قسم فى تاريخ الصحافة المصرية ، وعدت للاجتماع الرباعى بصديقاتى فى مقهى (بينوز) الزمالك مكان لقاءاتنا المفضل ، عدت أستمع إلى (عبد الحليم) وأشرب النسكافيه وأشاكس العم (خضر) بواب العمارة وأحلم بمستقبل أجمل ..

أهذا كل شىء ؟!

كلا ، لقد تأجل مشروع الفيلم بعد أسبوع التصوير الأول وملء علب معدودة من الأفلام الخام ، وذلك لمشاكل إنتاجية بسبب تعثر السيولة فى الرصيد البنكى الخاص بالفنانة القديمة (نورا عبود) .

أخبرنى (تامر) بهذا تليفونيًا فى أسف لم أشعر به من جهتى ، فقد واجهت من هذا الفيلم ما يكفينى لأمقت كل ما يمت إليه بصلة ، وبالنسبة للإهانة التى وجهتها لـ (تامر) بقتل أمه فقد تناسى هو هذا الموضوع بدوره ، حتى لا ينكأ فى نفسه جراحًا قديمة على ما يبدو ..

ستكون لى مع (تامر) وقصة والدته التى يقولون إنه قد قتلها فى الصغر مغامرة أخرى أيضًا لم يحن موعدها بعد ، المهم الآن أن السيناريو يقبع فى ركن مهمل من سلة المهملات فى منزلى ، توطئة للخلاص النهائى منه ..

ليذهب السيناريو اللعين إلى مكانه المهمل فى غياهب النسيان ، فقط بعد أن أنشر تحقيقى الجديد عنه على صفحات الجريدة ، تحت عنوان مكون من كلمة واحدة فقط ..

عنوان مقتضب جدًا ، لكنه معبّر جدًا :

سيناريو !

* * *

[تمت بحمد الله]

شخصية غامضة فى مغامرات وأجواء عجيبة

د. محمد سليمان عبد المالك

سيناريو

(نسرين الجبالى) تعدكم اليوم بمغامرة أخرى فريدة من نوعها ، مغامرة ليست أقصر من المعتاد ، وليست مما يسهل نسيانه ، وليست من النوع السريع التطاير كالكحول ..

نحن اليوم على أعتاب عالم تتصارع فيه الأضواء مع الألوان ، وتتغنى فيه الكلمة مع الصورة ، ويتناغم فيه الأداء مع سحر الظلام والحركة والخلود ..

نحن اليوم على أعتاب عالم الفن السابع ..

عالم السينما ..

مغامرات س

العدد القادم

(ممنوع الاقتراب)

المؤسسة العربية الحديثة

ص
الثمن فى مصر ٢٥٠
وما يعادله بالدولار الأمريكى
فى سائر الدول العربية والعالم